ليزا

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : ليزا
المؤلف : عماد سالم
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٥٨٤٥ / ٢٠١٦
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 261 - 8

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

رواية

ليزا

عماد سالم

إهداء

إلى زوجتى الحبيبة حنان حسن ..

إلى أبنائى سمر ومصطفى وسلمى ورنا.. شركاء الرحلة..

أعرف أنى أرهقتكم بعصبيتى وقلقى وتوترى فأشكركم على صبركم النبيل ، وأهدى إليكم نتاج التوتر الذى عشنا فيه معاً طوال فترة كتابة هذه الرواية ، وأتمنى أن يكون نجاحها هو أكبر اعتذار ..

عماد

٢٠ أغسطس ٢٠١٦

مفتتح

تدور أحداث هذه الرواية بمنطقتى إمبابة والمهندسين فى مصر أواخر عام ١٩٨٢، وتمتد حتى الآن، وعلى الرغم من أن الأحداث خيالية إلا أن معظم شخصياتها واقعية وتعيش بيننا، وقد استخدمت اللغة العربية الفصحى فى السرد، ولكنى فى الحوار قررت أن أستخدم العامية المصرية، بحيث تعبر كل شخصية عن مستواها الاجتماعى وثقافتها وتظهر ملامحها حين تتكلم، وقد اعتمدت على هذه الفكرة فى رسم الشخصيات .

وقد كان لكتاب «حياة الصحابة» للعلامة «محمد يوسف الكاندهلوى» الأثر الكبير، فهو الباب الذى دخلت منه للتعرف على جماعة «التبليغ والدعوة» التى تحتل تجربتها مكان الصدارة على مسرح أحداث هذا العمل الروائى، كما أشكر المحقق الدكتور محمد بكر إسماعيل الذى بفضله تعرفت على سلوك المبلغين وحياتهم وطقوسهم .

المؤلف

سور الصنايع

أكوام من القمامة تكتم أنفاس السور الخلفى لمدرسة إمبابة الصناعية، وسور الصنايع يستغيث كلما ألقى سكان المنطقة نفاياتهم فى وجهه. العشوائية تحطم كل شئ هنا، بحر الشارع لايزيد بحال من الأحوال عن أربعة أمتار، الشوارع ضيقة جدا، والأخلاق والمنازل والشقق والأفق والأحلام ضيقة، كل شئ هنا يتسم بالضيق .

كل الوجوه تشبه بعضها البعض، نفس الملامح، وكأن كل قاطنى هذه المنطقة قد جاءوا من رحم واحد، رحم الفقر الذى تحكم فيهم وفى سلوكهم ومشاعرهم حتى صاروا نسخاً متطابقة لشخص فقير محطم.

البيوت الضيقة تتحمل ساكنيها أثناء الليل على مضض، ولكنها بمجرد شروق الشمس تطرد الجميع، تطرد الأطفال فى الشوارع حفاة غير عابئين بالزجاج المتناثر فى الطرقات، وقد يضطر قليل منهم إلى أن يلبس حذاءً يمكنه من الركل والجرى وراء السيارات ومحاولة الركوب فوقها أثناء السير ثم القفز منها .

يفر الشباب من منازلهم، فيحتل كل واحد منهم مكانه على نفس الكرسى الذى تركه بالأمس عند منتصف الليل على قهوة (وزة) مع العمال الذين يعملون باليومية التى لا تكفى لطعام يوم واحد، ينتظرون سيارة المقاول ويتكالبون عليها كى يأخذهم للعمل، قد تأتى وقد لا تأتى، يلعبون (الدومينو) على القهوة والويل كل الويل لمن يخسر؛ لأنه سيدفع الحساب .

النساء يجلسن فى الشارع أمام منازلهن، كل منزل أمامه حجر تعتبره النساء مقراً إضافياً لغسيل المواعين فى إناء مصنوع من البلاستيك بعدما اضطرتهم ظروف الحياة إلى بيع النحاس، ولم يعد فى مقدورهم شراء الألومنيوم .

قهوة (وزة) صغيرة، فهى عبارة عن محل صغير مترين فى ثلاثة أمتار، إلا أنها احتلت بكراسيها الكثيرة الشارع كله وقطعة الأرض المقابلة للقهوة، فبدت كبيرة جداً، تستوعب العشرات من الزبائن .

سور الصنايع يشبه سور سجن مفتوح من اتجاه واحد فرض سطوته على السكان، لايستطيع أى ساكن هنا أن يدخل بيته أو يخرج منه دون أن يمر بجوار السور الذى فرض اسمه على المنطقة كلها فصارت منطقة «سور الصنايع» .

الناس هنا يكرهون الحكومة ويعتقدون أن ذنوبهم التى ارتكبوها فى حياتهم، هم وآباؤهم، قد سلطت عليهم هؤلاء

الأوغاد أمناء الشرطة المتحكمين فى قسم إمبابة بمن فيه، وفى المنطقة بما فيها من شجر وحجر وبشر، أمناء الشرطة هنا هم الحكومة التى إذا رضيت عن أحد كان محمياً مباهياً بهذه الحماية بين جيرانه، حتى أنه يضع هذه الحماية فى جمل غير مفيدة فى أى حوار مع الآخرين، المهم أن يعرف الناس أنه مرضيٌّ عنه من الحكومة .

الشباب هنا مقهور يشعر دائما بأنه خارج الحياة، فيحاول جاهداً الدخول فيها بعنف، فيبدو عليه التطرف دائماً، إذا شجع فريق كرة قدم ينتمى له بجنون لدرجة أنه قد يقتل مشجعى الفريق المنافس لأتفه الأسباب، وإذا عشق فإنه يعشق بجنون وتطرف أيضاً، فيبذل أكثر مما يطيق كى يصل إلى محبوبه، فإن لم يصل كره من يحب بشكلٍ عنيف لأنه لم يبادله هذا الحب .

كل الشباب هنا فى تنافس دائم، يتبارون فى كل شئ: الدومينو واللعب (على المشاريب) التى قد تصل إلى عشرات الجنيهات، وفى الأفراح يصل التنافس إلى منتهاه، تقام الأفراح فى الشارع، فيغلق سور الصنايع، وتعلق الميكروفونات على مناشر الشقق، كل مجموعة فى الفرح تلتف حول طاولة عليها البيرة وأحجار المعسل المدموغ بالحشيش، وكلما زاد حجم الطاولة وعدد الزجاجات زاد فخر الجالسين حولها، فهذا دليل على الثراء والعظمة، وإذا رأيت أحدهم وهو (ينقط) فى الفرح تعتقد أنه من

أغنى أغنياء المنطقة، ولكنه فى الحقيقة بائس، محطم، يبحث عن مجد ونجاح حتى لو ليوم واحد فقط ليصير معروفاً، ويكفيه أن يردد اسمه فى الميكروفونات فيسمعه كل الحاضرين فى الفرح، ومن يسيطر على المسرح يكون دائماً حديث الناس لأسابيع قادمة، ف (النباطشى) هنا أهم من المطرب، وذكر أسماء الحضور أهم من الغناء، والنباطشى عليه أن يحيِّى الناس فرداً فرداً، وإذا نسى اسم شخص من نجوم الفرح الحاضرين فويل له مما سيلاقيه بعد الفرح .

الشباب هنا يتنافسون فى كل شئ، حتى التدين الظاهرى، فيتنازعون داخل المساجد على إقامة الصلاة، ويختلفون على من يؤذن، ومن يؤم الناس، وإذا صلى أحدهم أسبوعاً متواصلاً، يعتقد أن هذا كاف للفتوى فى كل شئ .

بعض الشباب هنا يخنقه المكان، ويشعر بأنه جاء هنا خطأ، فهو لايستطيع أن يتنافس أو أن يتكيف مع هذا الواقع، فينطوى كأنه من الأقليات، يفر إلى الله، يحتمى به، ويجلس طول الوقت داخل المسجد، ينظفه متطوعاً دون مقابل حتى يكتسب مكانة تحميه من بطش الجيران .

— هات لى شاى ياحمادة .

قالها (ليزا) بصوت منخفض أثناء مرور (حمادة) القهوجى أمامه حاملاً طلبات لزبائن القهوة.

وقبل أن تمر دقيقة واحدة، يقف (ليزا) ويجذب (حمادة) القهوجى من ياقة قميصة قائلاً: مش قلت لك هات شاى ياحمار ؟!

حمادة يرتعد مرتدداً: والله ماسمعت ياعم (ليزا) والله ماسمعت، هو أنا أقدر أتأخر عنك برضه ؟!

يأتى (وزة) مهرولاً :صلوا على النبى إيه اللى حصل بالظبط ؟!

يوجه (وزة) اللوم كله لحمادة :

— دايماً جايب لى الكلام، يا تشوف شغلك عدل يا تغور فى ستين داهية.

— والله ماعملت حاجة يامعلم.

قالها (حمادة) وهو يبكى.

— عموما أنا آسف ياعم (ليزا) وحقك علىّ.

يدخل (حمادة) بسرعة إلى الناصبة ويحضر الشاى، ولكن (ليزا) يرفض أن يشربه، ويغادر القهوة متجهاً إلى سور الصنايع وهو يتمتم بألفاظ غير محددة وكلمات غير مفهومة.

يعارك (ليزا) كل شئ يقابله فى طريقه، كأنه فى صراع مع كل شئ، ويرفض كل شئ، يفتح مطواته (قرن الغزال) ثم يغلقها ثم يفتحها كأنه يأتنس بصوتها، ويخربش بها

كل السيارات المركونة إلى جوار سور الصنايع دون معرفة سابقة أو عداء مع أصحابها فيشوهها.

وبعد صراعه مع الزجاجات الفارغة الملقاة فى الطريق، وركله كل (الكراتين) الملقاة بجوار سور الصنايع، يصل إلى ناصية السور مع شارع ترعة السواحل، الملاذ الثانى له حين يمل قهوة (وزة) .

بمجرد وصول (ليزا) إلى الناصية يظهر أشرف سعد وأحمد قيادة كأنهما خرجا من تحت الأرض، فهما صديقا ليزا، وحين يجتمع الثلاثة يوقن الجميع بأن ثمة مصيبة كبيرة ستحدث الليلة فى سور الصنايع تهز إمبابة كلها، ويظل الناس يتحاكون بها عدة أيام .

قال قيادة موجهاً حديثه إلى (ليزا) :

— عامل إيه يازميلى؟

— متكسر على الآخر والحالة ضنك.

يتدخل أشرف فى الحوار:

— ومين سمعك دا انا حايح وباكح تراب.

— مافيش أى مصلحة؟

يقولها (ليزا) بمسكنة لأشرف.

قيادة موجها حديثه إلى (ليزا) :

— سيبك من الواد ده ليودينا فى داهية.

— انا برضه ؟! الحق علىّ إنى بأدلكم على المصلحة.

قالها أشرف بتأثر مصطنع.

— سيبك منه وخليك معايا.

(ليزا) متحدثاً إلى أشرف.

قيادة : والله الواد دا هيودينا فى داهية.

(ليزا) موجها حديثه لأشرف : سيبك منه.

أشرف: عندى مصلحة فى الجون.

(ليزا) : إيه هى ياجمجمة ؟

— فيه مشوار هنروحه وهنرجع معانا فلوس قد كدا (ويفتح يديه على آخرهما)

— معاك يابا، فين المشوار ده؟

يقولها (ليزا) بلهفة عطشان وجد الماء أخيرا .

قيادة موجهاً حديثه لأشرف سعد :

— أنت مش هتهبط إلا لما تودينا فى ستين داهية.

(ليزا): هو فيه إيه بالظبط؟

— الواد ده قلبه ضعيف وعيل هتيا.

يقولها أشرف بغضب موجها حديثه إلى (ليزا).

قيادة : اتلم ياروح أمك بدل ما أعمل لك خريطة فى وشك، مع إنى مش لاقى فيه مكان فاضى وكله خرايط، وعيال الحتة كلهم معلمين عليك .

أشرف موجهاً كلامه لليزا : خلى الواد دا يسكت ويلايمها أحسن له.

قيادة : والله انت كداب وماتقدر تعمل حاجة .

أشرف يهم ليشتبك مع قيادة فيفرقهما (ليزا) قائلاً :

- انتوا هتخيبوا على كبر، ورحمة أمى لو ما لميتوا نفسكم لافتح مطوتى، وانتوا عارفين، عمر (ليزا) مايفتح مطوته ويقفلها من غير مايزفرها.

يتراجع قيادة و أشرف .

(ليزا) موجهاً حديثه لأشرف : وأنت يا ابن العايبة لخص، فين المشوار ده ؟ وأنا والله لو فيه مصلحة معاك، الحالة ضنك.

قيادة لليزا : أقول لك أنا، ابن المجنونة دا عاوزنا نوقف قطر الصوامع، ونثبت سواق القطر، ونسرق الغلة ونبيعها لتاجر تبعه فى سوق الجمعة .

(ليزا): نثبته ونثبت أبوه، معاك يازميلى.

(موجهاً حديثه لأشرف الذى أشرقت على وجهه ابتسامة محت كل «البشل» المحفورة فى وجهه)

قيادة : والله انتوا عيال مجانين .

أشرف: جاى معانا ولا لأ؟

قيادة: لأ.

ينظر (ليزا) إلى قيادة بغضب فيتراجع: معاكم طبعا، أنا عارف إن نهايتى هتكون على إيديكم.

(ليزا): على البركة، وإمتى المشوار ده ياصاحبى؟

أشرف: كل يوم تلات الشيوخ والسنية بيعملوا حاجة اسمها لقاء الثلاثاء، بيقفلوا شارع المطار لغاية شارع البوهى حتى المفارق والبصراوى، كل الناس لابسة أبيض فى أبيض كأنه عيد وزحمة موت على شريط قطر الصوامع، والقطر بيهدى غصبٍ عنه، وساعات بيقف خالص لغاية المسيرة ماتخلص، احنا هنطلع نثبت السواق ونخليه يقف خالص.

قيادة: والحكومة؟

أشرف: يا ابنى مافيش حكومة، دا لو الحكومة جت الشيوخ يقرقشوهم، إحنا هنطلع ونخلى الأنفار يحملوا الشولة اللى احنا هنرميها على العربيات النقل، وكان الله بالسر عليم .

قيادة: ايه ده كله ؟! دا انت خيالك واسع قوى، قطر إيه اللى هتثبته يا ابن المجنونة، وأنفار إيه وعربيات، منين ده كله، هو إحنا حيلتنا اللضا؟!

أشرف: إتكا على الصبر، المعلم جلهوم صاحب الفرن اللى فى شارع القدس تاجر غلال كبير، واشترى منى مقدم، والعربيات بتاعته والأنفار من عنده .

(ليزا): المعلم جلهوم ؟!

أشرف: أه والله.

(ليزا): ع البركة.

(أشرف سعد) وأحمد قيادة فى نفس الوقت: ع البركة.

الشيخ إبراهيم

«الأعداد فى زيادة مستمرة، الحمد لله، كنت واثقاً بأن الله سينصر دعوتنا، حين كنت أعلم المبلغين وأشرح لهم كتاب حياة الصحابة، وكيف بدأت الدعوة، لم يخطر ببالى أبداً أن يؤمنوا بكل ماجاء فيه كل هذا الإيمان حتى صار دستوراً لهم، يطبقون تعاليمه التى كنت أشرحها لهم بإخلاص وإحسان».

كانت هذه الكلمات تدور فى ذهن الشيخ إبراهيم عزت – أمير جماعة التبليغ والدعوة فى مصر – وهو يمر فى ساحة مسجد أنس بن مالك بقميصه ناصع البياض وعمامته البيضاء الكبيرة، بوجهه الأبيض المنير، ولحيته خفيفة الشعر وقامته الربعة، وساحة المسجد تحتضن أناساً من كل الأعمار، وجوها جديدة تملأ ساحة المسجد الكبيرة وكأنهم ينتظرون الخطيب كى يصعد المنبر فى يوم جمعة أو عيد، مع أننا بعد صلاة عصر يوم الثلاثاء فى أبريل ١٩٨٢.

الشيخ يمر بين الجموع ويدخل الغرفة الكبيرة التى يعدون فيها الطعام، ويتفقد الطهاة وينشر بينهم جواً من الألفة قائلاً: بارك الله فيكم.

يصطف المبلغون الخارجون فى سبيل الله بانتظام متراصين كأنهم سيبدأون صلاة جماعة فى انتظار كلمة الشيخ إبراهيم عزت.

كل حركة محسوبة ومدروسة بدقة وعناية، كل أربعة فى مجموعة يخرجون لأداء مهمة محددة فى منطقة محددة فى زمن محدد، يختارون منهم أميراً عليهم يدينون له بالطاعة الكاملة لوجه الله وابتغاء مرضاته، يتشاور معهم فيقرر وما عليهم إلا السمع والطاعة حتى تنتهى الجولة بالعودة إلى مسجد أنس بن مالك حيث بدأت جولة الخروج فى سبيل الله.

وقد يخرج المبلغون شهوراً أو أسابيع أو بضعة أيام فى انقطاع كامل وتفرغ للدعوة والتبليغ عن الله، والمسجد هنا يتكفل بكل شئ: الطعام والمكان المخصص للراحة والنوم والمناخ الذى يساعد المبلغين على التفرغ للعبادة وقراءة القرآن بانتظام فى حلقات الذكر وتنظيم الخروج من المسجد والرجوع إليه بانضباط متناهى الدقة.

(بينما يمر الشيخ بين المبلغين يدور حديث طويل فى رأسه)

«ماشاء الله، لقد نجحت التجربة، نجاح التبليغ والدعوة فى مصر كان متوقعاً، نعم، فالظروف متشابهة إلى حد كبير مع تلك الظروف التى كان يمر بها الإسلام فى الهند عندما هجر المسلمون المساجد فتصدى لهذه الظاهرة الداعية الهندى محمد الكاندهلوى.

يتذكر الشيخ إبراهيم كيف ألف محمد الكاندهلوى كتاب «حياة الصحابة» الذى أصبح دستوراً لجماعة التبليغ والدعوة، وأخذ على عاتقه أن يدعو الناس ويحرضهم على دخول المسجد فقط دون الحديث فى أى علم شرعى أو اختلاف فقهى.

تعمير المساجد بالمسلمين، هذا هو كل شئ.

نجح الكتاب وذاع صيته وترجم إلى عدة لغات، منها العربية، وقرأه الشيخ إبراهيم عزت، الذى آمن بما فيه، وأخذ على عاتقه تطبيق تعاليمه، وتحقيق أهدافه فى مصر، وهى أن تخرج جماعات من المسجد تطوف القرى والمدن فى المقاهى والأسواق وتدعو الناس للصلاة فى المسجد فقط، ثم يتحولون هم بعد ذلك إلى دعاة ومبلغين عن الله، يدعون آخرين بنفس الطريقة دون النظر لعلمهم الدينى أو مستواهم الاجتماعى أو حتى قدرتهم على الإقناع.

يقف الشيخ إبراهيم فى ساحة المسجد ويوجه حديثه للمبلغين الذين يملأون الساحة :

— مين هيخرج معانا فى سبيل الله خمستاشر يوم فى مدينة الزقازيق ؟

يرفع بعض الجالسين أيديهم، فيشير الشيخ إلى أحد الشباب المساعدين له بأن يسجل الأسماء.

— مين هيخرج معانا شهر فى باكستان ؟

يرفع شباب آخرون أيديهم، فيشير الشيخ لتسجيل الأسماء قائلاً : ماشاء الله، اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين .

ينتهى الشباب من كتابة أسماء المبلغين الخارجين فى سبيل الله، فيشير الشيخ بالاستعداد لصلاة المغرب التى يعقبها درس مهم جداً من كتاب «حياة الصحابة» يستمر حتى أذان العشاء .

وما إن انتهى الجمع من صلاة المغرب حتى يخطب الشيخ ابراهيم جالساً على كرسى بجوار المنبر، ومن خلفه القبلة، وأمامه المبلغون الجدد والقدامى، الكل يتابع بحرص وإنصات، وكلمات الشيخ تتوالى لتصافح آذانهم فى جلال مهيب :

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ...وبعد :

فإن أصحاب رسول الله (ﷺ) هم أكرم الناس عند الله عز وجل، اصطفاهم لأكرم رسله ليسمعوا منه ما أنزل عليه من ربه ويشهدوا من أفعاله وتصرفاته العامه والخاصة ما يزيدهم إيضاحا لمعانى التنزيل وفهماً لأصول الدين وقواعد التشريع، ووفقهم الله للعمل بما علموا فكانوا للهدى أعلاماً،

وللعلم أئمة، وللعمل الصالح قدوة، وللحق أنصاراً، وللدين دعاة مرشدين، وكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويعلمون الناس كيف يكون الإيمان بالله، وكيف يكون التوكل على الله، وكيف يكون الإخلاص لله.

كانوا على مثال الخلق الفاضل، والكمال الوافر، والسلوك النبيل، فى عباداتهم وعاداتهم ومعاملاتهم، طهر الله قلوبهم من العصبية وحمية الجاهلية وأنزل الله عليهم سكينته وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها، من اقتدى بهم حشر معهم وفاز بجوارهم».

وعندما وصل الشيخ إبراهيم عزت إلى هذه المنطقة من خطبته انطلق صوت الشيخ عبدالمنعم متضرعاً:

«اللهم احشرنا مع أصحاب رسول الله!»

قالها وهو ينظر للمبلغين ويرى فى وجوههم مدى الاستجابة لكلمات الشيخ إبراهيم.

والشيخ عبدالمنعم هو الرجل الثانى فى جماعة التبليغ، وقد وهب حياته وماله – خمسة ملايين جنيه – للدعوة والتبليغ عن الله.

المبلغون: آمين.

– اللهم اجعلنا من أصحاب رسول الله.

— آمين .

— اللهم استخدمنا فى التبليغ والدعوة لدينك يارب العالمين كما استخدمت أصحاب رسول الله.

— آمين .

ثم ينطلق صوت الشيخ عبد المنعم، وكأنه يكمل ما بدأه الشيخ إبراهيم عزت:

«يقول الله عز وجل فى الآية التاسعة والستين من سورة النساء: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا}».

يلتقط الشيخ إبراهيم من نهاية حديث صاحبه عبد المنعم بداية جديدة، فيقول موجهاً حديثه لجموع الشباب المنضمين اليوم لجماعة التبليغ والدعوة (المبلغين.. كما يحب أن يطلق عليهم):

«ولكى نقتدى بأصحاب رسول الله (ﷺ) قدوة صحيحة ينبغى أن نتعرف على أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، ونقف متأملين عند كل كلمة قالوها، وكل شئ فعلوه أو تركوه، وكل شئ أقروه وكل شئ أنكروه، وهذا الكتاب (يشير إلى كتاب حياة الصحابة الذى يرفعه بيده) من الكتب التى حفلت بكثير من سير أصحاب النبى (ﷺ) ومن لقيهم من التابعين

أو عاصرهم، فقد جمع فيه العلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى صوراً من حياتهم ونبذاً من أخلاقهم، وتحفاً من مكارمهم، وجملاً من حكمهم ونصائحهم؛ لتكون نبراسا ينير الطريق لكل من أراد أن يدعو إلى الله على بصيرة من أمره، ولكل من أراد أن يسلك طريق العارفين بربهم على بينة تجعله دائما مستمسكاً بدينه متسلحاً بيقينه، كلما اعترته شبهة نظر فى حياة الصحابة فصحح النية وأصلح الطوية وعاد إلى رشده أحسن مما كان».

عند ذلك ينتبه الشيخ إلى أن موعد أذان العشاء قد حان، حين يرى المؤذن يتقدم كى يرفع الأذان معلناً نهاية الدرس.

محمد ليزا

حين بلغ (ليزا) الخامسة من عمره، أراد والده الأستاذ محمود (المصوراتى) أن يستغل كل علاقاته كى يدخله المدرسة، فهو نبيه جداً ويحفظ ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم: عم، وتبارك، وقد سمع، وصوته جميل فى القرآن، ولابد أن يحصل له على استثناء يتيح له دخول المدرسة مبكراً، لأنه موهوب ويسبق كل أقرانه ليس بسنة واحدة بل بسنوات .

ذهب محمود إلى مدرسة ابن خلدون الابتدائية، وقابل الأستاذ صبرى ناظر المدرسة، فهو يعرفه معرفة شخصية، فقد صور ابنته فى ليلة زفافها صوراً جميلة فى استوديو (موناليزا) الشهير الذى يملكه فى إمبابة.

محمود محدثاً نفسه : أكيد لسه فاكرنى، أنا لازم أقنعه وأبوس إيده لو اقتضى الأمر، نفسى محمد يبقى من العلماء، ماشاء الله عليه، بيحفظ كل حاجة بسرعة وعنده ذكاء غير عادى.

وصل الأستاذ محمود إلى المدرسة، وطلب مقابلة الناظر الذى رحب به واستقبله قائلاً: اتفضل يافنان.

— ألف شكر يا افندم.

— تشرب إيه ؟

— ولا حاجة أنا لىّ طلب عند حضرتك.

— تحت أمرك.

— العفو، ابنى الوحيد محمد نفسى أدخله المدرسة عند حضرتك هنا ويكون تحت رعايتك.

— قوى قوى.

— بس فيه مشكلة.

— لو نقدر نحلها مش هنتأخر.

— محمد ماكملش الست سنين، بس ذكى قوى وسابق سنه.

— فاضل له كام يوم يعنى ولا شهر ولا يهمك، هات لى الورق بكرة وأنا أخلص لك كل حاجة، تأمر يا أستاذ محمود، أهلاً وسهلاً.

— هو عنده خمس سنين وكام يوم.

— طب وأنت مستعجل ليه ؟! طب ما ييجى السنة الجاية فى ميعاده.

– مش عارف يا أستاذنا، فيه حاجة جوايا بتدفعنى قوى، ومخليانى مصر على دخوله السنة دى، ومش عارف إيه هى.

– الموضوع دا صعب جدا، بصراحة مستحيل، دى سنة كاملة، إن شاء الله السنة الجاية يكون مع الأولاد فى المدرسة.

– اللى يعيش !

– ربنا يديك الصحة وطولة العمر، دا انت لسه صغير أمال احنا نقول إيه ؟!

خرج محمود وهو حزين دون أن يعرف هو نفسه سبب هذا الحزن، فابنه سيدخل المدرسة العام القادم فى موعده القانونى، ولكن شيئاً ما داخله كان جعله يتمنى أن يفرح الآن – وليس غداً – بابنه اليتيم الذى ماتت أمه وهى تلده فصار هو أباه وأمه فى نفس الوقت.

عاد محمود إلى الأستديو، وقبَّل طفله الذى يصحبه دائماً معه فى كل مكان، هذا الابن الذى وهبه حياته كلها ورفض أن يتزوج حتى لا يحدث لابنه الوحيد ماحدث له هو شخصياً حين تزوج والده بأخرى بعد وفاة والدته، فهو لا يستطيع أن ينسى كيف كانت زوجة أبيه تعذبه حتى اضطر إلى الهرب من البيت، والعمل فى كل شئ إلى أن بنى

نفسه بنفسه، وتعلم التصوير، فهو وحيد بلا عائلة، وابنه محمد – مثله – لن يكون له سند فى هذه الحياة من بعده، فقد كانت أمه وحيدة والديها وكانت حين تزوجها محمود يتيمة الأبوين وماتت وهى تلد ابنهما (ليزا).

أنهى محمود عمله فى الأستوديو، وأخذ ابنه فى يده إلى البيت؛ فهو صاحب هذا البيت الصغير المكون من دور أرضى به أستوديو التصوير، وشقته، وثلاثة شقق مؤجرة يحصل منها على إيجار شهرى يساعده على الإنفاق على (ليزا).

– تتعشى إيه يامحمد ؟

– أنا اسمى (ليزا) يابابا مش محمد.

– لا.. اسمك محمد.

– بس كل اصحابى بيقولوا لى ياليزا، وأنا باحب اسم (ليزا) مع إنى ما اعرفش سببه.

– وانت صغير ماكنتش بتعرف تقول موناليزا اسم الأستوديو بتاعنا وكنت بتنطقها (ليزا).

– عشان كدا، أنا لوحدى اسمى ليزا، وكل الناس عارفانى، وأنا باحب كدا، ونفسى الناس كلها تبقى عارفانى، وأبقى مشهور قوى، وأطلع فى التليفزيون.

– التليفزيون مره واحدة ؟

— والسيما كمان.

— إن شاء الله ياحبيبي، يلا بقى عشان نروح نتعشى وننام.

مرت شهور، بعدها شعر الأب بالإجهاد، ويبدو أن الصداع المزمن الذى كان يعانى منه قد عاوده مرة أخرى .

دخل محمود فى الدوامة المعتادة، فبدأ تردده على المستشفى لإجراء فحوص طبية متعددة، كان مسكوناً بخوف مريب، لا على نفسه، بل على ليزا، كان يتساءل عما سيفعله ابنه حين يصير وحيداً فى هذه الحياة القاسية دون أب ولا أم ولا عائلة.

جاءت النتائج كالزلزال، فقد أكدت الفحوص أنه يعانى من تليف فى المخ، وأن حالته متدهورة، وأن موته متوقع خلال أيام أو شهر على الأكثر.

فهم محمود وقتئذ سبب تلهفه على أن يفرح بدخول (ليزا) المدرسة، هذه الفرحة التى سيحول الموت بينه وبينها، كان يتمنى أن يرى (ليزا) بملابس المدرسة، وأن يوصله بنفسه فى أول يوم من عامه الدراسى الأول.

لكن الموت عاجله ليحرمه من هذه الفرحة التى تمناها، وهذه اللحظة التى طالما تاق إليها، وحلم بها.

نشأ (ليزا) وحيداً، يتيماً، لا أحد يرعاه إلا عم عبد الله مساعد والده فى الأستوديو، فقد استأجر الأستوديو بعد وفاة الأب، وتعهد بدفع الإيجار، بل وتكفل بتحصيل إيجار الشقق الأخرى، والإنفاق من عائدها جميعاً على الطفل، وبأن يدخر له الباقى حتى يكبر، وتعهد بهذا أمام جميع كبار المنطقة الذين صاروا شهوداً على ذلك.

دخل (ليزا) المدرسة، ولكنه – على غير ما كان أبوه يتوقع له – تعسر فى المسيرة تعسراً شديداً، إلى أن اضطر للخروج من المدرسة مبكراً بعد أن رسب فى الإعدادية.

عرف (ليزا) طريقه إلى التدخين فى سن مبكرة جدا، واكتشف فى نفسه جرأة شديدة عرفها عنه أيضا المحيطون به، فقد كان يصارع الكلاب فى الشارع، ويجرى وراءها، ولا يخاف أبداً من أى شئ.

كان ينام وحده فى البيت حتى تعرف على أشرف سعد وأحمد قيادة، وهما من أطفال الشوارع، فصارا ينامان معه فى البيت وأصبحا كل عائلته وأصبح هو ومنزله ملاذهما من البرد وظلمة الليل.

كان الإيجار يكفى (ليزا) وهو صغير، ولكن عندما كبر أصبح المبلغ لايكفى إلا ثمن السجائر فقط .

كانت كل الظروف مواتية ليتأثر (ليزا) بكلام أشرف سعد، فأشرف يتمتع بملكات خاصة، خفيف الظل لدرجة خرافية، ويحفظ مئات النكات والنوادر، ويتمتع بقدرة هائلة على إقناع (ليزا) بما يريد فى أى وقت، حتى أطلق عليه (ليزا) لقب (الجمجمة).

أهدى أشرف إلى (ليزا) مطواة قرن غزال وقال له :

— دى ليك ياشقيق.

— أنا بعون الله مش محتاجها، أنا بادافع عن نفسى بدراعى، بلاش يا أشرف.

— خليها معاك ممكن تحتاجها.

— مادمت أنا مش هاستعملها مالهاش لازمة معايا .

عندئذ تدخل أحمد قيادة موجهاً حديثه إلى أشرف :

— أنت شيطان يا ابنى؟ قالك مش عاوز.

— اقعد لنا انت على جنب ونقطنا بسكاتك، أنا مش عارف مين ابن العبيطة اللى سماك قيادة! !

— عشان أنا أحسن واحد فى المنطقة بيسوق كل حاجة، موتوسيكلات وعربيات وقطورات كمان لو حبيت، ومافيش معايا أى رخصة قيادة، وماعرفتش أطلع رخصة مع إنى حاولت كتير .

أخذ (ليزا) المطواة من أشرف، ومن وقتها لم تفارقه أبداً.

مشى الثلاثة فى اتجاه شارع ترعة السواحل، حيث الوقوف على الناصية هناك له العديد من الفوائد.

بادرهما (ليزا) بالسؤال :

– احنا رايحين فين ؟

أجاب أشرف فى مزيج من الابتسام والسخرية :

– هنقف فى الهوا، نشوف الناس اللى على حق، والحريم اللى على حق.

بادره أحمد قيادة معترضاً ومسلماً فى الوقت نفسه: والله انت شيطان، وهتودينا فى داهية.

وصل الثلاثة إلى الناصية، وكل واحد منهم معه مطواة قرن غزال، وقد أعطى أشرف كلاً من رفيقيه حبة من (الترامادول).

فى هذه اللحظة حان لهم صيدهم الأول، فقد لمح أشرف من بعيد شاباً وفتاة وقد شرعا فى قبلة مسروقة خلف سور الصنايع، ولاحظ أنهما فى حالة من التوافق والانسجام، فلا يبدو على الفتاة أنها مرغمة على ذلك، بل بدت متجاوبة معه، فدخل عليهما شاهراً مطواته قائلاً: – اثبت ياد انت وهى، هات اللى معاك.

فزع الشاب وبدأ يخلع ساعته وهو يقول مرتعشاً:

— والله ما معايا غير الساعة وعشرة جنيه.

التقط أشرف منه الساعة و الجنيهات العشرة قائلاً :

— هاتهم.

ثم التفت إلى الفتاة :

— وانت يابت هاتى الخاتم ده يا إما هقطعلك صوابعك بالمطوة وبرضه هاخده.

انهارت الفتاة باكية وهى تخلع خاتمها قائلة:

— خد أهْو، بس والنبى سيبنى أروح.

يأخذ أشرف الغنائم، ويترك الشاب والفتاة ويرجع إلى (ليزا) و قيادة قائلاً وهو يضحك : اتعشت.

أمل

خضـراءُ الدِّمـن، الزهـرة الرقيقـة التـى تبـث عطرهـا فيمـن حولهـا، تهـون عليهـم مـرارة الأيـام، تعطيهـم الأمـل، تكـون عـادة محاطـة بالأشـواك مـن كل اتجـاه، تطاردهـا العيـون الطامعـة التـى تعتقـد أن الفقـر سيجعلها سـهلة المنـال، وأنهـا مُعـدة وجاهـزة للقطـف فـى أى وقـت إذا لـوّح لهـا الذئـاب بالمـال؛ فالذئـاب دائمـاً تتربـص بالفقـراء.

(أمـل) .. فتـاة جميلـة فـى التاسـعة عشـرة مـن عمرهـا، تسـكن فـى منطقـة سـور الصنايـع، أمـام أسـتوديو (الموناليـزا) فـى حـارة حسـين الشـيخ المتفرعـة مـن شـارع القـدس، أكـبر عشـوائيات إمبابـة عاصمـة الفقـر ومـلاذ الفقـراء.

(أمـل) التـى أعطاهـا الله حسـناً وفقـراً متسـاويين، تتسـاءل دائمـاً عـن الحكمـة التـى يريدهـا الله مـن أن يعذبهـا بجمالهـا الـذى هـو سـبب شـقائها فـى الحيـاة، فهـى كلمـا عملـت فـى شـركة أو محـل يقربهـا صاحـب العمـل، ثـم يغريهـا بالمـال وزيـادة الراتـب حتـى تتغاضـى عـن تصرفاتـه الشـاذة واحتكاكـه وتحرشـه الدائمـين بهـا، وإذا تركـت العمـل وجلسـت فـى بيتهـا

ماتت جوعاً لأن هذا الخنزير الجالس فى البيت لا ينفق عليها، هذا الخنزير الذي تملؤها الشكوك حوله، فتتساءل : كيف يمكن أن يكون هذا أبى؟!

رجل غريب الأطوار يشرب البانجو والحشيش فى صالة المنزل نفسه، ويجبر (أمل) على تقديم الشاى لأصحابه المساطيل، وتغيير (الجوزة) وغسل الحجارة ورص المعسل للحشاشين أصدقائه الذين يأكلونها بعيونهم ولا يتوقفون عن التهام جسدها الشهى بخيالاتهم قبل أعينهم، فهذه هى الطريقة الوحيدة التى يضمن بها صلاح -والدها- الحصول على المخدر مجاناً، إنه يوفر لهم مكانا آمناً لتناول المخدرات، وهذا كل ما لديه.

أما هم فيحضرون الحشيش والطعام وعلبة السجائر، وهذا كل مايتمناه، فهو كائن غريب، لا يأكل تقريبا ولايشرب ولايهتم إلا بالحشيش والسجائر والبيرة التى لا يفيق منها أبداً.

«يارب خدنى وريحنى من العذاب اللى أنا فيه»

قالتها (أمل) وهى تبكى فى غرفتها الضيقة الحقيرة، هذه الغرفة التى تطبق بجدرانها على روح (أمل)، فإذا ما تاقت إلى بعض الهواء وأرادت أن تفتح شباكها لاترى إلا أقدام المارين فى الحارة، فالبيت قديم وهم يسكنون فى الدور الأرضى الذى تحول مع مرور الزمن وارتفاع أرضية

الشارع إلى ما يشبه (البدروم)، بل تحول إلى (بدروم) حقيقى بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

لاتجد (أمل) مهرباً من الحزن والبكاء إلا إلى النوم الذى يشبه الإغماء، وهى تنظر بدهشة دائمة لصفاء – صديقتها الوحيدة – عندما تقول لها:

– أما انا امبارح حلمت حتة حلم، مستغربة كدا ليه؟!

– تعرفى إن انا عمرى ماحلمت.

– إزاى يابنتى؟

– والله زى ما باقول لك كده، أنا بافضل أعيط .. أعيط لحد ما يغمى علىّ وأنام. سيبك منى أنا وقولى لى حلمتى بإيه؟ .. احكى لى.

– عارفة الواد اللى بيغنى ميال ميال، القمر ده؟

– عمرو دياب، ماله؟

– خدنى فى البحر، ده طلع واد قليل الأدب قوى.

– دا انت اللى سافلة يامجرمة... هو برضه؟!

– يعنى انتِ عاوزة تفهمينى إن قلبك لسة ما دقش؟

– الحب مش للى زينا.

— مالنا يا اختى؟ يعنى انت عاوزة تفهمينى إنك مابتفكريش فى الجواز؟!

— جواز إيه ؟! إزاى ؟! هو فيه حد يرضى يناسب عمك صلاح الحشاش، داأبوى ما بيفوقش من الحشيش والبيرة، ولو ربنا رزقه بقرشين بينقط بيهم فى الأفراح، حتى لو ما يعرفش أهل العريس ولا أهل العروسة.

— يابت ده انتِ زى القمر، دا انا لو فىَّ ربع جمالك كانت الرجالة بقت تحت رجلي وأتجوز أغنى واحد فى البلد.

— بيتهيأ لك، كلهم عاوزين الحرام، ومرة واحدة جالى عريس عن طريق واحد من اللى بيحششوا مع أبويا، كان راجل سعودى عنده سبعين سنة، ولولا إنى هددت عمك صلاح إنى هاطفش من البيت ومش هيعرف طريقى أبداً، كان زمانى اتجوزت واتطلقت وقاعدة معاه برضه، الناس دول بيبقى ليهم غرض واحد، مجرد مايوصلوا له.. خلاص فى الزبالة، أما الجواز فبيكون بين اتنين قد بعض، بيحبوا بعض، مش أكبر منى بخمسين سنة .

— طب ليه ماتتجوزيش عريس صغير؟.. انت جميلة وكل شباب الحتة يتمنوا.

— يتمنوا يمشوا معايا بس، أما الجواز فمافيش فلوس، وأنا فقيرة وعمك صلاح (البروطة) اللى مرزوع برة، مافيش عيلة محترمة توافق تجوز ابنها لبنته، بنت الحشاش .

— واللّه اللى يشوف بلاوى الناس تهون عليه بلوته، دا أبوكِ دا أحسن منأبوى المجنون، تتصورى ابن المجنونة قال إيه بيحبنى.

— بيحبك إزاى يعنى ؟!

— آه واللّه، زى ما باقول لك كدا، أنا نفسى ماكنتش مصدقة، وكنت باقول يمكن متهيأ لى، لحد مابقى بالمفتشر، وعلى عينك ياتاجر.

— انتِ إتجننتِ يابت، إيه اللى بتقوليه دا ؟!

— بدأت الحكاية كلها يوم ماحسيت به بالليل وأنا نايمة بيحسس على صدرى، اتفزعت وصرخت فى وشه، وقلت له فيه إيه؟، قال لى كنت باغطيكِ.

— مافيهاش حاجة لما يغطيكِ، انت اللى مخك حادف شمال.

— اصبرى بس أما أقول لك، عملها تانى وسيبته لحد ماكمل وطلع صدرى ومسكه بإيده.. رحت مصوتة ولميت عليه البيت، أختى ثناء وأمى جم جرى، وقلت لهم على اللى عمله وفضحته، قال دى مجنونة، علىّ الطلاق بالتلاتة لو حد كلمنى أو فتح بقه معايا لأطلق أمكم وارميكوا فى الشارع انتوا التلاتة.

— وأمك عملت إيه؟

— سكتت طبعا، وانسحبت هى وثناء ودخلوا ناموا .

— إزاى؟!

— هيروحوا فين؟ أمى مقطوعة من شجرة، وأختى ثناء يادوب تسع سنين، لاينفع تشتغل ولا تتجوز.

— وهو دي الوقت بيعمل إيه معاك؟

— زهقت منه، وساعات بأعمل نفسى نايمة، ولما ألاقيه بيزودها باتقلب فيجرى زى الكلب.

— انتِ سافلة، دا حرام، وبيتهز له سبع سموات .

— يعنى أعمل له إيه ؟

— اتكلمى معاه، فوَّقيه، أكيد اتجنن ولازم يروح مستشفى المجانين.

— دا صول متطوع فى الجيش، وأكيد هما كشفوا عليه، ولو مجنون كانوا رفدوه من زمان، هو بس بيحبنى، اشمعنى مابيعملش كده مع ثناء ؟!

— يابنت المجنونة، يعنى انتِ استحليتى الحكاية.

— ساعات باحس وأنا عاملة نفسى نايمة إن عمرو دياب هو اللى بيحسس علىّ .

— يانهارك أسود، يعنى الموضوع على مزاجك.

— بصراحة فى الأول كنت قرفانة قوى بس دى الوقت عادى، اتعودت، وكدا بآخد منه فلوس كتير وباخرج زى ما أنا عاوزة وبازعق له، وباضربه بالجزمة واشتمه قدامهم كلهم، وهو زى الكلب مايقدرش يفتح بقه بكلمة.

— وأمك وأختك ؟!

— أمى عاوزة تاكل وتشرب وخلاص، وثناء مش فاهمة حاجة، بس ساعات باحس إنها بتغير لما بتشوفه خايف على زعلى وعاوز يرضينى بأى شكل .

— ما تسألى أمك، أكيد الراجل ده مش أبوكِ.

— أنا برضه شكّيت فى الحكاية دى، يمكن الولية دى كانت بتعط وهى صغيرة.

— على فكرة انت شكل وثناء شكل وأخوكِ – الله يرحمه– كان شكل تالت.

— قصدك إيه ياظريفة ؟!

— ياعيلة مخلطة وملعوب فى أساسها (وتضحك فتضحك صفاء التى كانت تعدل ملابسها استعدادا للخروج)

— على فين ؟

— عندى ميعاد مع حسام، ما تيجى وأخليه يجيب واحد صاحبه .

– لأ ياحلوة، أنا ماليش فى الشمال.

– فكى عن نفسك.

– هو انت فكيتِ ولا إيه يابت ؟

– لأ.

– يابت ! !

– بيعمل اللى بيعمله المفقود أبويا، بس وأنا فاتحة عينى وبيبقى طعمه لذيذ قوى.

– اوعى يضحك عليكِ ويضيعك .

– ياهبلة الشغل من فوق بس، أما تحت ممنوع الاقتراب أو التصوير.

– يا مجرمة نهايتك هتبقى سودا إن شاء الله، خلى بالك من نفسك، ربنا يبعد عنك شيطانك.

خرجت صفاء، وأخذت (أمل) نفساً عميقاً، ثم قالت بحالة من الرضا : الحمد لله على كل حال، اللى يشوف بلاوى الناس تهون عليه بلوته.

مسجد أنس بن مالك

مساحة شاسعة من شارع أنس بن مالك تتقاطع مع شارع شهاب، أرقى وأغلى مكان لسكن الأغنياء بحى المهندسين فى مصر، حوالى أربعة آلاف متر مربع، بنى عليها ثلاثة طوابق للصلاة والعبادة وخمسة طوابق فى مبنى ملحق بالمسجد للمعيشة والإقامة للمبلغين، مرتبة ومخصصة لكل الوفود حسب البلد التى أتوا منها، جناح مخصص للمبلغين من إفريقيا، وجناح آخر للآتين من آسيا، و آخر للمصريين الوافدين من محافظات بعيدة.

فرغ المبلغون من صلاة العشاء، ثم صعدوا إلى المبنى الملحق بالمسجد، حيث يكون لهم مطلق الحرية، من أراد منهم أن ينام نام، ومن أراد منهم أن يصلى ركعتى الشفع وركعة الوتر وأن يقرأ القرآن حتى أذان الفجر فعل ما أراد .

يرفع أذان الفجر، فينزل المبلغون من المبنى الملحق بالمسجد ويتجمعون فى ساحته الكبيرة أمام القبلة والمنبر، حيث يتقدم الشيخ إبراهيم عزت ليؤم الناس بعد أن أقيمت الصلاة.

وقف المبلغون القدامى والشباب الجدد فى صفوف متراصة ومتجانسة بملابسهم البيضاء، وكأنهم أسراب من الحمام الأبيض المحلق فى انتظام وجمال.

السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، قالها الشيخ لتنتهى الصلاة، ويتقدم الشيخ عبدالمنعم وبيده كتاب رياض الصالحين ليفتح اليوم باباً جديداً من أبواب الفضائل، وهو باب فضل قراءة القرآن الكريم، وهو عادة يقرأ هذا الباب عند قدوم فوج جديد من الشباب الراغبين فى الخروج فى سبيل الله للمرة الأولى.

يتابع كل الحضور الدرس باهتمام بالغ مع اختلاف مستواهم العلمى، فمنهم من حصل على الدكتوراة، ومنهم الأمى الذى لايقرأ ولا يكتب، فهذه الجماعة ليست حريصة إلا على شئ واحد هو عودة الناس للمساجد ومكافحة ظاهرة التهرب من صلاة الجماعة، والخروج إلى الناس فى كل مكان ودعوتهم للصلاة فى المسجد فى جماعة.

انتهى الشيخ عبدالمنعم من الدعاء باكياً، مبكياً كل المصليين خشوعاً وتقوى .

قام المبلغون، وتسلَّم كل واحد منهم مكانه فى الخدمة اليومية، فمنهم من ينظف، ومنهم من يخرج إلى السوق ليأتى بالطعام، ومنهم من يطهو الطعام، ومنهم من يرتب كل شئ ويعيده سيرته الأولى، فيرجع المصاحف إلى مكانها

الأول فى المكتبة، ويضع كل شئ فى مكانه المخصص له.

فرغت الساحة الكبيرة من المبلغين، وبقى الشيخ عبدالمنعم الذى أقبل على معلمه الشيخ إبراهيم عزت مقبلاً يده بقصد التماس البركة، كما يفعل دائما، ثم توجه إليه بحديث الابن لأبيه :

- يامولانا أطال الله عمرك وجعلك تاجا على رؤوسنا.
- بارك الله فيك ياعبدالمنعم .... كيف حالك يابنى؟
- بخير والحمد لله، كل شئ على مايرام، ولكنى أشعر بالقلق لتغير نبرة صوت الأمن، وتحركاته المريبة ضد جماعتنا، وقد عزمت على ألا أقول لك شيئا يقلقك، ولكنى لا أحب أن أخفى عنك شيئا يامولانا.
- إيه اللى حصل ؟ احنا مالنا ومال الأمن ومال السياسة، هو حصل إيه بالظبط ؟
- اللواء محمود الشاعر بعت لى طلب حضور.
- اللواء محمود بتاع أمن الدولة ؟! كان عاوزك فى إيه؟ أنا عارف إنهم قلقانين من العام الماضى بعد مقتل السادات .
- صحيح يامولانا، ولكن هما أتأكدوا إن التبليغ والدعوة لايعنيها أى شئ إلا أن يؤدى المسلمون صلاتهم فى المساجد وأن يعمروها وألا يهجروها.

— أمال إيه اللى حصل؟

— طلب منى صور بطاقات الإخوة اللى بيخرجوا فى سبيل الله لعمل ملفات لهم فى أمن الدولة، ولما سألته ليه؟ قال لى لحمايتهم وعدم الخلط بينهم وبين الآخرين، فهم يكتبون فى خانة النشاط (سلفى ودود).

— حسبى الله ونعم الوكيل!!

قالها الشيخ إبراهيم عزت وهو يقوم من مكانه منتفضاً، وتوجه ناحية القبلة كى يصلى:

— الله اكبر.

فرغ الشيخ إبراهيم من صلاته، ثم التفت ناظراً لجموع الشباب الجدد، الخارجين اليوم لأول مرة فى سبيل الله، نظرة حانية ثم قال :

— «الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد، فإن السيرة النبوية وسير الصحابة وتاريخهم من أقوى مصادر القوة الإيمانية والعاطفة الدينية، التى لاتزال هذه الأمة والدعوات الدينية تقتبس منها شعلة الإيمان، وتشعل بها مجامر القلوب، التى يسرع انطفاؤها وخمودها فى مهب الرياح والعواصف المادية، والتى إذا انطفأت فقدت هذه الأمة

قوتها وميزتها وتأثيرها، وأصبحت جثة هامدة تحملها الحياة على أكتافها .

إنها تاريخ رجال جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها، وصدقتها قلوبهم، وما كان قولهم إذ دعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا : ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ووضعوا أيديهم فى يد الرسول (ﷺ)، وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وعشيرتهم، واستطابوا المرارات والمكاره فى سبيل الدعوة إلى الله، وأفضى يقينها إلى قلوبهم، وسيطر على نفوسهم وعقولهم، وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب، والحب لله والرسول، والرحمة على المؤمنين والشدة على الكافرين، وإيثار الآخرة على الدنيا، والحرص على دعوة الناس، وإخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، والاستهانة بزخارف الدنيا وحطامها، والشوق إلى لقاء الله والحنين إلى الجنة، وعلو الهمة وبعد النظر فى نشر تعاليم الإسلام وخيراته فى العالم، وانتشارهم لأجل ذلك فى مشارق الأرض ومغاربها، ونسوا فى ذلك لذاتهم، وهجروا راحتهم، وغادروا أوطانهم، وبذلوا مهجهم وحر أموالهم حتى ألقى الدين بجرانه، وأقبلت القلوب إلى الله، وهبت ريح الإيمان قوية عاصفة، طيبة مباركة، وقامت دولة التوحيد والإيمان والعبادة والتقوى، وانتشرت الهداية فى العالم، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً».

ما إن انتهى الشيخ إبراهيم من خطبته حتى شعر الشباب بالنور يسكن قلوبهم ويمتد فى العروق والعقول، فأضاءت الوجوه بنور الله الذى ملأ ساحة المسجد.

الساعة

فى إحدى جمعيات رعاية الأيتام بدا أحمد قيادة وكأنه جزء من المنقولات والأثاث، فكل الأطفال الذين جاءوا هنا وجدوه قد سبقهم إليها، لا أحد يعلم متى ولا كيف جاء أحمد قيادة إلى هنا، فالجميع يأتون ثم يذهبون، إلا هو فإنه لايريد أن يترك الملجأ، لا تمسكاً به، وإنما لأنه لا يعرف مكاناً سواه يمكن أن يذهب إليه، ليس له ملاذ إلا هذه الدار التى تتاجر بهم، وفيهم، فتجمع التبرعات من فاعلى الخير بالآلاف وترمى لهم الفتات .

تعلم أحمد قيادة قيادة الموتوسيكلات والسيارات كما تعلم الميكانيكا حتى صار ماهراً، فعمل فى ورشة أحد المتبرعين للملجأ، وكان فور انتهاء عمله يعود للملجأ للنوم، فهو ملاذه الوحيد .

كان أحمد ضعيف البنيان، يضربه كل من هب ودب، سواء فى الورشة أو الملجأ، فهو لايستطيع الدفاع عن نفسه إلا بالهروب، حتى تعرف على أشرف سعد، نزيل الدار الذى يتمتع بقلب ميت، وقوة مفرطة، مع أنه دائم

الضحك، لا تفارق الابتسامة وجهه أبدا، حتى وهو يضرب الأطفال فى الدار ويأمرهم بالنوم فوراً :

— ناموا يابهايم! !

فينام الجميع .

قرر قيادة أن يكون لأشرف سعد كظله، ينفذ كل أوامره، ويعيش فى حمايته، حتى أنه عندما قرر أشرف أن يترك الدار، خرج قيادة معه واختار أن يبيت فى الشوارع فى حماية أشرف، بدلاً من أن يعيش فى الدار دون حماية فيتعرض للأذى الذى ذاقه كثيراً قبل حماية أشرف له .

وعلى الرغم من أن قيادة يميل للسلم، ويكره الصراعات، ويختلف عن أشرف فى كل شىء، إلا أنه أحبه واعتبره أخاً وصديقاً له.

أصبح الكوبرى سقف بيتهما الجديد، فالاثنان يبيتان تحت كوبرى إمبابة. يخرج أشرف بمطواته –التى لايباريه أحد فى فتحها بسرعة فائقة واستخدامها ببراعة– يثبت بها المارين فوق الكوبرى، خاصة الشباب الذين يصطحبون الفتيات فى الأماكن المظلمة فى منحنيات الكوبرى، يدخل عليهم وهم فى وضع مخل، يفتح مطواته ثم يقفلها ثم يفتحها، فيلقى صوتها الرعب فى قلوب ضحاياه، ويحصل منهم على كل مايريد وخاصة الساعة.

يأخذ أشرف الساعات التى جمعها طوال الأسبوع ويذهب بها إلى سوق الجمعة حيث خصص لنفسه مكاناً لبيعها.

كان أشرف يبيع الساعة بربع ثمنها الأصلى، فهو أصلاً لايعرف ثمنها، فيتوجه الناس له لشراء ساعات ماركات عالمية بأسعار رخيصة جداً.

أشرف ينادى فى السوق :

- الساعة أم ميت جنيه بعشرين جنيه يابلاش قرب يا افندى قرب يابيه.

فى هذه المرة، تجمع الشباب حول أشرف، وإذا بأحدهم يصرخ فيه قائلاً : الساعة دى بتاعتى واتسرقت من أخويا التلات اللى فات، واحد ثبته وخدها منه.

أشرف فى ثبات وثقة :

- روح هات أخوك، وتعالى، عشان أديها لكم انتوا الاتنين.
- قصدك إيه؟
- امشى ياد من هنا لاشرحك.
- أنا مش هاجيب لك أخويا، أنا من سور الصنايع، وهاجيب لك (ليزا).
- محمد ليزا، هو أنت تعرفه ؟

- أيوه أنا ساكن فى البيت اللى جنبه، ولو عرف اللى حصل دا هيحصل قلبان فى السوق، واللى انت ماتعرفوش إن (ليزا) ياكل مية لو جه من سور الصنايع لحد هنا ....

- بص ياحبيبى، عشان خاطر (ليزا) أنا مش هقطع لك وشك بالمطوة وهاسيبك تروح: قال ذلك وهو يفتح المطواة ويقفلها.

ألقى أشرف الرعب فى قلب الشاب الذى جرى إلى سور الصنايع وقص على (ليزا) ماحدث .

ليزا : هو قال لك إنه يعرفنى ؟!

- آه والله.

- أنت متأكد إن الساعة دى بتاعتك ؟

- والله بتاعتى، وأخويا محمد كان سالفها منى وطلع عليه واحد ثبته وخدها منه.

- أشرف هو اللى ثبته ؟! دا قلبه ميت، سرق الساعة، وهو اللى بيبيعها، وفى السوق قدام الناس كدا، تعالى معايا.

أخذ (ليزا) الشاب واتجها إلى سوق الجمعة وأثناء سيرهما انضم إليهما بعض الشباب من سور الصنايع وهم يرددون:

— فيه حاجة ياليزا ؟

— مع مين ياليزا ؟

قبل أن يصل (ليزا) السوق كان عدد الشباب الذين يمشون خلفه لا يقل عن عشرين شاباً مسلحين بأسلحة بيضاء وجنازير.

— هو ده.

قالها الشاب لليزا وهو يشير إلى أشرف.

أشرف باسماً : هو ده.

ليزا : أنت أشرف سعد ؟

أشرف : وأنت (ليزا)؟

ليزا : أيوه، بص يا أشرف انت وقعت فى الغلط، لأن احنا ماحدش بيتخانق معانا إلا اللى عاوز ينتحر، وأنا هاخد حقى منك، أنا مايهمنيش الساعة، لكن اللى يزعلنى إنك انت ما قدرتنيش، ووقعت فى الغلط، لما قال لك إنه جارى ويخصنى، وما رضيتش تديله الساعة، الساعة دى دى الوقت بقت تخصنى أنا .

أخرج أشرف علبة بها ساعات كثيرة وأعطاها لليزا قائلا : اتفضل ياصاحبى.

— غلبتنى، انت جدع محترم، وجبت معايا من الآخر.

- أنـا باحـب كل راجـل جـدع، وباسمـع عنـك مـن زمـان، وكان نفسـى أتعـرف عليـك.

- يشـرفنى معرفتـك، هاسـتناك عندنـا فـى المنطقـة بالليـل عشـان أعمـل معـاك الواجـب.

- كلك واجب يازميلى.

رجع (ليزا) منتصرا وسط همهمات الناس :

- الواد اترعب لما شاف ليزا.

- أصله صيته مسمع فى كل حتة.

- ربنا يحميك ياليزا.

- ربنا يحميك يا أخويا.

فـى المسـاء، يذهـب قيـادة وأشـرف إلى قهـوة (وزة) لمقابلـة (ليـزا) الـذى أبـى أن يسـتقبلهما إلا فـى منزلـه تكريماً لأشـرف الـذى احترمـه وقـدره ورفـع مـن شـأنه أمـام كل أهـالى المنطقـة.

عندمـا دخـل أشـرف و قيـادة منـزل (ليـزا) سـأله قيـادة : أنـت عايـش هنـا لوحـدك ولا إيـه ؟

ليزا : أيوه.

رقصـت الفرحـة فـى عـين قيـادة، وحـدث نفسـه قائـلا: الحمـد للّه اترحمنـا مـن النـوم تحـت الكوبـرى.

دواعٍ أمنية

دخل الشيخ إبراهيم فى حالة من الذهول الدائم، هذا ما بدا لكل المحيطين به، هو فى حديث داخلى، يحدث ذاته فى حيرة وقلق، لماذا يفعلون معنا هذا؟ لماذا يضيقون علينا؟ حقاً، إن هؤلاء القوم لايفقهون، فنحن لم نكن ولن نكون محرضين على العنف أو الخروج على الحاكم، أو هدم النظام، بل نحن نحرم الخروج على الحاكم المسلم مادام لم يمنع إقامة شعائر الله، وإذا فسق ندعو الله له بالهداية، لم نسع أبداً إلى السلطة أو المال، كل مانعيش من أجله هو إقامة شعائر الله خاصة الصلاة فى جماعة فى بيوت الله التى خلت من المصلين .

لو عرفت السلطة من هى جماعة التبليغ والدعوة، لخصصت لها الأموال كجهة تعمل لصالح استقرار الدولة مثل الأوقاف والأزهر.

فليبق الرئيس فى سلطانه، والوزراء كما هم، والسياسات كما هى، لانطلب أى تغيير، لا نريد منهم مالا ولا مشاركة فى مناصب، كل مانتمناه أن يتركونا نصلى لله، وندعو الناس

للصلاة، ونكمل رسالة رسول الله وأصحابه، فالدعوة لم تمت بوفاة الرسول بل ظل أصحابه يدعون للإسلام ونحن أصحابه، كل العصاة ينتظرون دعوة طيبة، فهم أخوتنا الطيبون، ينتظرون أحداً منهم يذكرهم فقط، ولا يشترط أن يكون عالما أو شيخا، فقط إنسان عادى، المهم أن يكون مخلصاً..

رفع صوته محدثا المبلغين:

- أيها الأحباب اثبتوا، فنحن على طريق رسول الله ماضون، ولن ندخر وسعاً فى إعلاء كلمة الله. كنت مترددا فى أن أقص عليكم ماحدث، وأبلغنى به أخى الشيخ عبدالمنعم، ولكن لامفر، فقد أبلغنا أحد لواءات أمن الدولة أنه يجب علينا إخطارهم بأسماء الخارجين فى سبيل الله معززة بصور البطاقات الشخصية، وذلك لحمايتهم وحتى لايحسبوا – خطأ– على المتطرفين الذين يسعون لقلب نظام الحكم، والساعين إلى السلطة باستخدام العنف ضد الدولة، وإحداث الفتن، فالخروج على الحاكم المسلم حرام، ولا يجوز شرعا حتى لو كان عاصياً.

يتابع المبلغون كلمات الشيخ باهتمامٍ بالغ:

- كل منكم يسلم صورة بطاقته الشخصية للشيخ عبدالمنعم.

خرج المبلغون من المسجد وكانوا حوالى ثلاثمائة أغلبهم من الشباب، ومنهم عشرون شيخا كبيرا؛ كى يحضروا صور البطاقات .

مرت ساعات ولم يحضر أحد منهم، مع أن المكتبة أمام المسجد مباشرة، ولن تستغرق عملية التصوير كل هذا الوقت، نظر الشيخ إبراهيم إلى الشيخ عبدالمنعم بحزن وكأنه نادم على ماقاله لهم.

الشيخ ابراهيم (محدثا نفسه):

— لقد تسرعت.. كان يجب علىّ دراسة الأمر جيدا، قدر الله وماشاء فعل.

ثم رفع صوته قائلا:

— حسبى الله ونعم الوكيل .

ظل الشيخان فى الساحة الكبيرة للمسجد، الشيخ إبراهيم متكئ على المنبر والشيخ عبدالمنعم جالس أمامه.

حان موعد صلاة المغرب والمسجد خاوٍ بعدما كان عامراً بالمصلين، لم يكن بالمسجد إلا خمسة رجال، يبدو من هيئتهم أنهم لاينتمون أصلا للجماعة.

توجه الشيخ إبراهيم إلى القبلة ليؤذن بنفسه لأول مرة منذ سنوات بعيدة :

— الله أكبر، الله أكبر... حى على الصلاة حى على الصلاة ..

— ظل يرددها وهو يبكى فأبكى الشيخ عبدالمنعم الذى كان يردد وراءه الأذان بصوتٍ عالٍ، حى على الصلاة، وما

إن انتهى الشيخ من الأذان حتى دخل المبلغون المسجد زمراً وفى أيديهم صور البطاقات، فهلل الشيخان وقال معا:

الله اكبر... الله اكبر.

تقدم الشيخ إبراهيم ليؤم الناس، قرأ الفاتحة ثم قرأ ... ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.. وبكى بكاء حارا فبكى الشيخ عبدالمنعم وكل المصلين بصوت مسموع.

فرغ المصلون من الصلاة، وخرج من خرج، وبقى المبلغون فى انتظار الشيخ إبراهيم ودرس جديد من كتاب حياة الصحابة .

الشيخ ابراهيم : الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد، فإن كتاب حياة الصحابة الذى سنبدأ الشرح فيه الليلة قد حفل بكثير من سير أصحاب النبى(ﷺ) ومن لقيهم من التابعين أو عاصرهم، ففيه صور من حياتهم، ونبذ من أخلاقهم، وتحف من مكارمهم، وجمل من حكمهم ونصائحهم لتكون نبراساً ينير الطريق لكل من أراد أن يدعو إلى الله على بصيرة من أمره، ولكل من أراد أن يسلك طريق العارفين بربهم على بينة تجعله دائماً مستمسكا بدينه، متسلحاً بيقينه، كلما اعترته شبهة نظر فى حياة الصحابة فصحح النية وأصلح الطوية وعاد إلى رشده كأحسن مما كان، إن أسلم طريق وأمثل طريقة إلى الدعوة أن يلتزم الدعاة ومن فى حكمهم منهج أصحاب النبى (ﷺ) فى أقوالهم

وأفعالهم، ووسائلهم فى نشر الإسلام، وطرقهم فى عرضه، وتحملهم فى سبيل الله المشقة والجهد؛ رغبة فى رضوان الله تعالى أولا، وطمعاً فى جنة عرضها السماوات والأرض ثانياً.

يرفع أحد شباب المبلغين يده طالباً السؤال، فيشير له الشيخ قائلا:

- اتفضل.

- أنا عندى كتاب حياة الصحابة، وقريت جزء من التلات أجزاء، وعرفت إن العلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى اتعلم على إيد والده الشيخ محمد إلياس .

الشيخ إبراهيم:

- صحيح، وقد عكف على دراسة سير الصحابة ووقف على الكثير من مآثرهم، فأراد أن يجمع منها ماتشتد الحاجة إليه، فجمع هذا الكتاب ورتبه على تسعة عشر بابا وصدره بالآيات القرانية والأحاديث النبوية فى طاعة الله ورسوله، واكتفى بالجمع ولم يضف إليه شيئاً من عنده، ولعله رأى أن مانقله عنهم غنى عن التحليل والتعليل، وأن القارئ يستطيع بنفسه أن يأخذ من سيرتهم ما شاء لمن شاء وكيف شاء.

والشيخ محمد الكاندهلوى هو إمام من أئمة الدعوة بعد أبيه، تولى أمرها بعلمه وتقواه وقدرته على نشرها بالحكمة

والموعظة الحسنة، لا في الهند وحدها، ولكن في كثير من بلاد المسلمين، أعانه في ذلك جماعة مختارة من كبار علماء الهند يجوبون الأقطار كمعلمين ودعاة مرشدين بأفعالهم وأقوالهم.

يطلب شاب آخر الكلمة، فيسمح له الشيخ قائلا :

— اتفضل.

لماذا سميت هذه الجماعة باسم التبليغ والدعوة ؟

الشيخ ابراهيم :

الاسم طابق مسماه، فهذه الجماعة تقوم على أمرين أساسيين: الأول هو تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية وهدايته إلى الإسلام بالحجة البالغة والسماحة التى اكتسبوها من سيرة الصحابة، وكثرة المجاهدة والذكر، أما الثانى فهو دعوة العاصين من المسلمين إلى الصلاة لأنها عماد الدين، ولأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإذا ما صلوا خشعت قلوبهم، وانكسرت شهواتهم، وضعف ميلهم إلى المعاصى فكفوا عنها بسهولة ويسر، وهذا دوركم يا شباب الدعوة يا مبلغين.

رأى الشيخ إبراهيم شاباً آخر يريد أن يتحدث فأذن له.

— يعنى احنا هنسافر يامولانا برة وندعو الناس للدخول فى الإسلام؟

الشيخ إبراهيم :

– إن شاء الله، ولكن في مرحلة قادمة، أما الآن فعليكم بالعُصاة، ادعوهم للرجوع للمساجد وعدم ترك الصلاة.

يحين موعد أذان العشاء، فيرفع الأذان وينتهى الدرس

سور الصنايع

لا جديد، المشهد يتكرر كل يوم: (ليزا) يجلس فى نفس مكانه على قهوة (وزة)، ويطلب من (حمادة) الشاى بصوت منخفض لا يسمعه إلا هو، وحمادة يتأخر فيضربه (ليزا) وكأنه يتعمد خفض صوته كى لا يسمعه ليضربه، ويأتى المعلم (وزة) فينهر (حمادة) ويجبره على إحضار الشاى لليزا الذى يشعر بالراحة بعد ضربه لحمادة القهوجى.

يأخذ (ليزا) الشاى من (حمادة) وهو يشير إلى شابين جالسين على القهوة :

— مين دول ؟!

— زباين.

— شكلهم مش من المنطقة.

— أيوة يا كبير.

— لا يكون فيه عوق ؟!

— عوق إزاى يعنى ؟!

– يكونـوا حراميـة، وعاوزيـن يسـرقوا حـد مـن حارتنـا، ويعلِّمـوا علينـا، اعـرف لى قرارهـم.

يذهـب (حمـادة) لقطعـة الأرض المقابلـة للقهـوة، والتـى يجلـس فيهـا الشـابان:

– أى خدمـة يـا أسـاتذة ؟ شـكلكم مـش مـن المنطقـة، أى حاجـة أنـا ممكـن اسـتقضيها لكـم، مـزاج وخلافـه.

انزعج الشابان، وقال أحدهما :

– إيـه ياعـم صلـى علـى النبـى، احنـا طلبـة فـى الثانويـة العامـة وبناخـد درس فـى السـنتر اللـى هنـا علـى الناصيـة، وقلنـا نشـرب شـاى لحـد ميعـاد الحصـة.

– طب أجيب إيه للباشاوات ؟

– اتنين شاى.

عـاد (حمـادة) ليبلـغ (ليـزا) بالمعلومـات التـى حصـل عليهـا عسـاه أن يرضـى عنـه ويكـف عـن ضربـه بـدون أسـباب.

– طلبـة وزى الفـل، وماشـيين بعـد شـوية، عندهـم حصـة فـى السـنتر اللـى علـى الناصيـة.

– دول مـش شـكل طلبـة، دول عمالـين يبصـوا علـى الحريـم والبنـات، ومانزلـوش عينهـم حتـى وانـت واقـف معاهـم وبتكلمهـم يـا دغـوف.

– والله مااخدت بالى.

ظل الشابان على القهوة حتى مرت (أمل) فوقف أحدهما قائلاً:

– الجمال ده كله فى الحتة المعفنة دى؟!

فجذبه صديقه قائلا :

– اقعد هتودينا فى داهية... الناس هنا ممكن يموتونا.

– يموتونا، أنا قتيل الجمال ده، معقولة دى ساكنة هنا؟! إزاى؟ شفت عيونها عاملة إزاى ؟ ولا جسمها، ولا شعرها، دى مافيهاش غلطة.

انطلق الشاب خلفها وزميله يحاول اللحاق به حتى لحقا بها أمام شارع الرشيد – وهو شارع كبير بعد سور الصنايع وشارع السودان – استوقفها المعجب قائلاً:

– لو سمحتِ يا آنسة.

– خير إن شاء الله؟!

– هو انت كدا بحق وحقيق ؟!

– باين عليك عيل وسخ وعاوز تتضرب بالشبشب.

– تأديبه علىّ أنا، عنك انت يا أبلة.

قالها (ليزا) وهو يفتح مطواته التى ألقت الرعب بصوتها في قلبيهما، فجرى الأول وتسمر الثانى فى مكانه.

— يعنى انت مش خايف ؟!

— منك انت ؟!

استخدم (ليزا) مطواته باحترافية، وكتب بها على وجهه رقم ١١ قائلا :

— عشان تفضل طول عمرك فاكر (ليزا).

صرخ الشاب :

— دم.. يا اما ! ! !

وجرى والدماء تسيل من وجهه.

أعطى (ليزا) ظهره لأمل، وعاد إلى القهوة دون أن ينظر إليها أو يحاول التعرف عليها كسائر الشباب، إنها جميلة جداً وهو الآن يملك فرصة ذهبية للتقرب منها.

انتابت (أمل) حالة من الخوف والرعب فعادت إلى المنزل مهرولة، دخلت الشقة، وأغلقت الباب بإحكام، ووضعت الكرسى خلف الباب، ثم دخلت غرفتها، وأغلقت الباب بالمفتاح ونامت فى سريرها وغطت وجهها بالبطانية.

ظلت على هذه الحالة حتى اليوم التالى، رن جرس الباب، فخرجت (أمل) قائلة :

— مين؟

— هو فيه حد بيسأل عليكِ ولا يعبرك غيرى؟

فتحت لها الباب قائلة:

— ادخلى.

— مالك ؟!

قالتها صفاء وهى تتفحص وجه (أمل).

— مافيش حاجة.

— انت متغيرة، هو احنا بنخبى حاجة عن بعض ؟!

— صدقيني مافيش حاجة.

— الناس مالهمش سيرة غير (ليزا) واللى عمله عشانك، شكله شغل بالك.

— انت عبيطة! ده مجرم، هو أنا ممكن أحب واحد مجرم؟!

— ده مش مجرم، ده بطل، عرض نفسه للخطر عشان يحميكِ، ماتعرفيش الاتنين دول كان ممكن يعملوا إيه ؟ ده فيه سبراى يترش فى وش الواحدة ماتفوقش إلا بعد مايكونوا خلصوا كل حاجة وانبسطوا.

- والله انت بنت شمال، وكل دماغك فى الحاجات دى، ونفسك أصلا تتخطفى عشان تدوقى وتقولى غصب عنى.

قالت صفاء بدلع :

- ومين سمعك يا أختى، بس فين؟! هو فيه دي الوقت رجالة بتخطف وتغتصب؟! الكلام دا فى الأفلام، طب ما أنا أهو ونفسى حد يخطفنى ومستعدة لحفلة جماعية.

وتنفجر ضاحكة، فتضحك (أمل) قائلة :

- والله العظيم انت بنت مجنونة، فيه حد كدا فى الدنيا؟!

- الجنان هو إنك تسيبى شاب جميل، طول، وعرض وشجاع وغنى، عرض حياته للخطر عشانك من غير ما تشكريه .

- هو أنا هاشوفه فين يعنى؟

- زى ماشفتيه المرة اللى فاتت أكيد هتشوفيه تانى، ومادام عمل كدا عشانك، يبقى معجب بيكِ، وأكيد هيحاول يكلمك، وبعدين دا صاحب البيت اللى قدامك على طول، والأستوديو بتاعه بابه قدام باب بيتكم.

قالت صفاء هذه الكلمات وهى تقف أمام المرآة، تمشط شعرها وتنظر إلى ملابسها.

— أنا رايحة الكوافير، ماتيجى معايا أعرفك على مدام عبير، أنا ممكن أشغلك معاها فى الكوافير، دا انت شاطرة وأكيد هى مش هتسيبك.

— هى قالت لك إنها عاوزه حد؟

— سمعتها الشهر اللى فات وأنا عندها بتقول إن البنت اللى كانت عندها اتجوزت وجوزها منعها من الشغل .

— ياريت ياصفاء، أحسن قعدة البيت مملة قوى، وبينى وبينكأبوى إيدك منه والأرض.

— بينى وبينك إيه؟ دا أبوكِ دا مفضوح، وكل الناس فى سيرته.

— اتلمِّى.

— اتلمينا ياستى، يلا بينا.

ارتدت (أمل) عباءة سوداء فوق ملابسها، وخرجت بصحبة صفاء من شارع سور الصنايع فلمحت (ليزا) جالساً على القهوة فأشارت إلى صفاء قائلة :

— هو دا.

— يا ابن الإيه ده مز على الآخر.

— حلال عليكِ.

– بس هو يرضى، باقول لك إيه روحى سلمى عليه واشكريه.

– انتِ اتجننتِ، دا قاعد على القهوة.

– فيها إيه يامتخلفة ؟! دا البنات دي الوقت بتقعد على القهاوى وبتشرب شيشة كمان.

– لا ياستى، يلا بينا نروح مشوارنا أحسن والله العظيم أرجع البيت، وأسيبك تروحى لوحدك.

– على إيه يلا بينا.

وصلت صفاء ومعها (أمل) إلى كوافير مدام (عبير) التى بمجرد أن رأت (أمل) سحرت بجمالها، وظلت تنظر إليها قائلة :

– ماشاء الله، سبحان من صور، إزاى يا (صفاء) تخبى عنى صاحبتك القمر دى؟!

صفاء (بطريقة كوميدية): دى أقل حاجة عندى.

– ميرسى حضرتك اللى أجمل، ربنا يجبر بخاطرك، بس الحظ قليل قوى.

– اللى زيك تتّاقل بالدهب .

صفاء تشعر بغرابة كلام عبير فتبتسم ابتسامة خفية ثم تقول :

- إحم إحم، انت هتخليها كدا تتغر وماحدش يعرف يكلمها، عموما هى عايزة تشتغل هنا مكان صباح اللى سابتك واتجوزت.

ردت (عبير) دون تردد:

- قوى قوى .. تنزل من بكرة، من دي الوقت لو حبت.

- متشكرة قوى يامدام.

خرجت أمل وصفاء من كوافير مدام (عبير) والضحكة مرسومة على وجهيهما، وفى طريق العودة نظرت صفاء على قهوة (وزة) وكأنها تبحث عن (ليزا)، أشارت لأمل بيدها:

- استنينى هنا خمس دقايق.

- رايحة فين؟

- استنى بس.

دخلت صفاء قهوة (وزة) قاصدة (ليزا)، وبادرته قائلة:

- ألف شكر يا أخويا، احنا مش عارفين نشكرك إزاى، انت طبعا مش عارفنى؟ أنا صفاء بنت خالة (أمل) اللى ساكنة فى البيت اللى قصادكوا، واللى انت أنقذتها من العيال اللى كانوا بيعاكسوها، هى نفسها تشكرك، بس هى بتتكسف وعمرها ما كلمت شبان .

تعمدت (أمل) أن تنادى على صفاء؛ كى تلفت نظر (ليزا) إليها عندئذ قال (ليزا) موجها حديثه إلى أمل:

- خدى صاحبتك واتوكلى على الله، أنا ماعملتش غير الواجب، وبنات المنطقة كلهم اخواتى وما ينفعش الوقفة دى قدام القهوة.
- حاضر يا اخويا، فُتك بعافية.

عادت صفاء إلى (أمل) واصطحبتها إلى المنزل، التفتت (أمل) كى تعرف إن كان (ليزا) ينظر إليها أم لا، فوجدته غير مهتم، فانزعجت من عدم اهتمامه.

دخلت (أمل) و(صفاء) إلى الشقة، وقبل أن تخلع صفاء الحذاء:

- يابنت المحظوظة، يابختك، واد مية مية، رجولة وأدب وشهامة، دا انا كنت كأنى باتكلم مع المحافظ، وعلى فكرة هو مش عاوز منك حاجة أصلا.
- ماهو دا اللى مجننى، كل واحد بيشوفنى يبقى نفسه يخرج معايا أو حتى يتعرف علىّ إلا دا.
- اسمه (ليزا).
- ما انا عارفه، دا مشهور عندنا هنا، ساكن فى البيت اللى قصادنا.

— فى البيت اللى قصادكوا وما اتكلمتوش؟

— انت عارفانى، أنا لا باحب أبص لحد ولا أعرف حد ولا حد بيعرفنى.

— ريحى نفسك، انت أصلا مش فى باله، يدى الحلق للى بلا ودان، دا لو شاور لى بس أجرى عليه وأدى له حتة دين بوسة فى نص الشارع، واللى مش عاجبه يطق.

— دا انت اللى مخك طق.

تخرج صفاء وتغلق الباب قائلة :

— تصبحى على خير ياقمر.

— وانت من أهله.

تخلد (أمل) إلى النوم فترى (ليزا) فى منامها، فارسا مغواراً يحملها فوق حصانه الأبيض .

— يا (أمل) هاتي لى كوباية مية.

قالها صلاح لابنته وهو يكح وكأنه يحرمها من السعادة حتى فى أحلامها، فتستيقظ وتعطيه كوب الماء.

— ما تعملى لى كوباية شاى.

— هو انت جبت سكر، احنا لا عندنا شاى ولا سكر.

— وبعدين ؟

- أنا لقيت شغل، ورايحة دي الوقت، أول يوم النهارده .

- طب يلا أحسن تتاخرى، ما تنسيش تجيبى الشاى والسكر، باقول لك إيه، وعلبة سجاير لأبوكِ يابنتى والنبى.

- حاضر .

تذهب (أمل) إلى عملها الجديد، فاليوم أول أيامها فى كوافير عبير، دخلت من الباب وفى رأسها حوارات كثيرة (الحمد لله صاحب الشغل المرة دى ست، ومش هيبقى فيه مشاكل، عموما ربنا يستر)

تدخل (أمل) الكوافير فتستقبلها عبير بحفاوة بالغة.

- أهلا ياقمر، نورتِ مكانك.

- أهلاً بحضرتك، والله أنا حاسة إن انت زى أختى وهنبقى أصحاب.

- هنبقى حبايب ياروحى.

- طبعاً طبعاً، أغير هدومى فين يامدام ؟ أنا جبت معايا هدوم للشغل.

أشارت لها عبير قائلة :

- ورا الستارة دى، معلش ياحبيبتى المحل صغير، عموما احنا ستات زى بعض ولا انت مكسوفة منى.

– لا أبداً.

بدأت (أمل) تخلع ملابسها حتى ظهر شيء من صدرها، نظرت إليها عبير نظرة تموج بالشهوة وكأنها رجل، فاضطربت وخافت وأعادت البلوزة مرة أخرى وقالت :

– أنا هاشتغل بلبسى دا، هو أنا كل يوم هاغير؟ والمحل قريب من البيت، ما فيهاش حاجة لما اروح وآجى بهدوم الشغل.

قالت ذلك وكأنها تبرر قرارها بعدم خلع ملابسها: إدينى عدة النضافة يامدام، دا المحل بقى له كتير ما اتنضفش.

– آه ياحبيبتى بقى له كتير (وهى تنظر إلى صدرها).

(أمل) تشعر بالريبة من تصرفات عبير وتشك فى الأمر ولكنها تراجع نفسها... «لا لا مش ممكن».

انتهت (أمل) من عملها وتوجهت إلى عبير قائلة:

– أنا آسفة جداً يامدام، عارفة إن النهارده أول يوم وما يصحش أطلب فلوس، بس انا ظروفى صعبة، وأبوى راجل مريض وقاعد فى البيت.

– ياحبيبتى خدى اللى انتِ عاوزاه، وعليه بوسه.

– ألف شكر.

وناولتها عبير عشرين جنيها.

– انت كدا ياحبيبتى خدتى الفلوس بس لسه ما أخدتيش البوسة. وقبلتها قبلة مليئة شهوة.

اضطربت (أمل)، وهربت فى ذهول، وقالت فى نفسها «لا .. هى ست طيبة وبتحبنى زى أختها».

عادت (أمل) من نفس الطريق، فهو الطريق الوحيد، سور الصنايع، نظرت على قهوة (وزة) كى ترى (ليزا) جالساً فى نفس المكان، نظرت إليه، فنظر إليها، وابتسما، فهرولت فى سعادة إلى البيت.

أول مرة تحب ياقلبى

عـادت (أمـل) إلى منزلهـا فوجـدت كل شـئ قـد تغـير؛ فهـذه هـى أول مـرة تشـعر فيهـا أن البيـت جميـل، وأن أباهـا وسـيم، وأنهـا فـى سـعادة عاشـت طـول عمرهـا تبحـث عنهـا، السـر فـى بسـمة (ليـزا) التـى غـيرت شـكل العـالم وجملـت كل شـئ.

كان يصل إلى أذنها صوت عبدالحليم حافظ :

أول مرة تحب ياقلبى وأول يوم اتهنى .

ياما على نار الحب قالوا لى ولقيتها من الجنة.

أول مرة .. أول مرة ..

كانـت (أمـل) فـى غرفتهـا تسـمع وتغنـى معـه.. جـرس البـاب يـرن....

— مين؟

— صفاء.

— تعالى ياصافى.

– صافى ؟! هو إيه اللى حصل ؟! عبدالحليم، ورومانسية، وصافى ؟

– مش عارفة إزاى الواحدة تعيش من غير ما تسمع عبدالحليم؟

(صفاء) ساخرة :

– لا والله؟ دا انت عمرك ماسمعتى غير حسن الأسمر.

(أمل) فى حالة هيام :

– عبدالحليم دا حاجة تانية خالص .

– واضح إنك وقعتِ على بوزك، الواد جامد وفتاك ابن الذين، وشجيع، والنبى يارب تعترنى فى واحد زيه أنا كمان.

– زيه مافيش.

– لا والله... وده من إمتى ؟!

– من يوم ما ربنا خلقنى وانا بادور عليه، رجولة ومش عاوز حاجة، كامل، تحسى معاه بالأمان.

– ياعُقد! عشان ماعبركيش وإداكِ بالجزمة، صحيح القط بيحب خناقه.

— لا والله أنا حبيته عشان راجل وهيحمينى، وانت شوفتِ أبويِ اللى عمره ماخاف علىّ ولا حمانى من عيون أصحابه اللى بيحششوا معاه كل ليلة، (ليزا) هو أبوى اللى هاعيش معاه وفى حمايته، باحبه ياصافى، باحبه قوى.

— هو انتوا اتكلمتوا؟

— لا .. لسه.

— أمال إيه اللى حصل؟

— زى ما باقول لك كدا.. حلمت بيه بينقذنى وخدنى على الحصان بتاعه.

— وخدك قدامه ولا وراه، حاولى تفتكرى، عشان المكان هيفرق معانا كتير قوى (وهى تضحك).

— انت دايما مركزة فى السفالة، ربنا يهديكِ ياتافهة.

صفاء و(أمل) يضحكان ضحكاً متواصلاً بصوت عال.

— هو فاتحك فى الجواز؟

— يا بنى جهل قلت لك ما اتكلمناش أصلاً.

— ماتشوفى يا بنت العبيطة ليكون بيحب واحدة تانية وانت عايشة فى الوهم.

(أمل) يبدو على وجهها القلق والخوف :

— إن شاء الله هيكون من نصيبى، أنا مش هاقدر أعيش فى الدنيا الصعبة دى من غير قلب (ليزا) ودراعه اللى هيحمينى من الطمعانين فىّ ومش سايبينى فى كل حتة أروح فيها.

— ربنا يجعله من حدِّك ومن نصيبك ياحبيبتى، ما قلتليش عملتِ إيه فى الشغل، ومدام عبير كويسة معاكِ؟

— والله ياصافى مش عارفة أقول لك إيه، هى ست طيبة، اتغدينا سوا، وجابت لى حاجة ساقعة، واديتنى عشرين جنيه تحت الحساب وانا ماشية، بس برضه مش مستريحة لها، فيها حاجة غلط، نظراتها مريبة.

— مريبة إزاى يعنى؟ عاوزة تتجوزك هى كمان؟!

— انت بتقولى فيها؟! بتبص لى بشهوة كأنها راجل وعاوزة منى حاجة.

— ياحبيبتى أكيد بيتهيأ لك من كتر اللى اتعرضتِ له فى حياتك من الطمعانين فيكِ.

— عموماً أنا هاروح بكرة، واللى النهارده بفلوس بكرة يبقى ببلاش.

قالتها (أمل) وهى تريد أن تنهى الحوار كى تعود لعبد الحليم وتعيش فى الرومانسية الجميلة.

— أسيبك مع عبدالحليم، تصبحى على خير ياقمر.

— وانت من أهله ياصافى.

(صفاء) تترك (أمل) لعبدالحليم حافظ وتعود إلى منزلها، ولما مرت من أمام القهوة فخطر ببالها فكرة :

«والله يا (أمل) ياحبيبتى لأجيب لك قرار سى (ليزا) الليلة دى».

دخلت القهوة فوجدت (ليزا) جالساً:

— مساء الخير يا أخويا.

— مساء النور.

— أنا صفاء بنت خالة أمل، وأنا جاية لك من نفسى.

— الكلام مش هينفع هنا على القهوة.. اسبقينى.

— حاضر.

ويمشى (ليزا) فيسبقها بخطى واثقة، وهى تمشى خلفه.

— أؤمرينى يا أبلة صفاء.

— ما يؤمرش عليك ظالم، أنا جاية أسألك سؤال واحد.

— اتفضلى.

— انت متجوز أو خاطب ؟

— دى حاجة ما تخصكيش.

— أنا عارفة إنه ما يخصنيش بس يخص ناس تخصنى.

— (أمل)؟

— أيوة.

— أنا اللى هأقول لها، بس انتِ متأكدة إن هى عاوزانى.

— آه وحياة ربنا بتحبك قوى.

— أنا هاتصرف.

ترجع صفاء لـ (أمل) مرة أخرى لتخبرها بما حدث:

— افتحى الباب.. افتحى ياعروسة (وهى ترن الجرس)، فتجرى (أمل) وتفتح الباب بسرعة:

— إيه الحكاية ؟!

— طلع مش متجوز ولا مرتبط .

(أمل) والسعادة ترقص فى عينيها:

— إيه عرفك؟

— أنا سألته.

— يابنت المجنونة.

— وقال لى أنا هاكلمها بنفسى.

جرس الباب يرن .. (صفاء) و(أمل) :

— أكيد هو.

(أمل) تتقدم لفتح الباب :

— مين ؟

— أنا (ليزا)

— دقيقة واحدة حاضر.

— ماتفتحيش الباب، فيه كلمتين عاوز أقولهم لك وكلمة عاوز أسمعها منك.

(أمل) وقلبها يرقص من السعادة :

— اتفضل.

— لو أنا طلبتك للجواز توافقى؟

فتهز رأسها بالموافقة.

صفاء بصوت منخفض جدا :

— انطقى هو شايفك؟!

— أيوة.

— مبروك.. أنا هاتصرف مع عم (صلاح).

تختفى حركات أقدام ليزا من أذنهما فتقول صفاء:

- ألف مبروك ياحبيبتى، والله ما هاسيبك من غير ما آخد الحلاوة.
- ربنا يخليكِ لىّ، من غيرك ما كنتش هافرح أبدا.
- ربنا يسعدك يا اختى.

لقاء الثلاثاء

«إسلامية إسلامية، رغم أنف الصهيونية»، أمواج بيضاء، آلاف البشر فى مسيرة تتجه إلى البصراوى (إحدى عشوائيات إمبابة) لمقابلة الشيخ (جابر) فى لقاء الثلاثاء، البصراوى تتحول إلى مزار أسبوعى يوم الثلاثاء، الكل يلتف حول الشيخ (جابر)، السلفيون يعتبرونه رمزاً لدولة يحلمون بها تخلصهم من الظلم والفقر الذى ساد البلاد؛ لبعد الناس عن شريعة رب الناس، الشباب يخرجون بملابسهم البيضاء من مناطق متعددة بإمبابة، عمارة البواب، والشجرة، وطريق بشتيل، وعزبة الصعايدة وشارع الطنانى، كل النساء والرجال يحلمون بجمهورية إمبابة السلفية التى سيطبق فيها شرع الله، الرجال يلبسون العمامات البيضاء، والنساء يلبسن الخمار الأبيض، والشيخ (جابر) فى منزله ينتظر الجموع ومعه الشيخ حسن صديقه ونائبه وكاتم سره، سأله (جابر):

— الجماعة بتوع إذاعة لندن جم؟

— على وصول يا مولانا.

— خليهم يدخلوا على طول أول ما يوصلوا.

– حاضر.. بس انا شايف – بعد إذنكم – إن الحديث مع الإذاعات الأجنبية هيجيب وراه وجع دماغ ومشاكل ما لهاش أول ولا آخر.

– إزاى ؟

– احنا كدا بنتحدى الحكومة.

– احنا معانا الناس.

– كلامك الأخير عن الانفصال معناه إننا بنقوم بأكبر عملية انتحار جماعى فى التاريخ.

– ما تخافش يا حسن، طول ما معانا الناس ربنا هينصرنا بيهم إن شاء الله.

– انت هتقول نفس الكلام لإذاعة لندن ؟

– طبعا، مش هاغير كلامى، نريد الانفصال عن مصر وإعلان جمهورية إمبابة الإسلامية السلفية، وإذا تعذر ذلك، سنطبق النظام الفيدرالى، ويكون لدينا حكم ذاتى.

بدأ (جابر) يتحدث بالفصحى كأنه يحفظ كلمات يرددها، فيتجاوب معه حسن ويرد عليه بالفصحى أيضاً، فقد كانا حريصين على التحدث بها عندما يكون بينهما ثالث حيث لا ينطقان بالعامية إلا عندما يكونان وحدهما، لكن حسن مازال على موقفه:

— هذا الأمر جد خطير .

— قل لى بالله عليك ماذا فعلت لنا الحكومة؟ تأخذ منا الضرائب، ثم تغلق لنا المحلات، وتهدم بيوتنا كل يوم باللودرات والكراكات بحجة أنها مبنية على أرض زراعية، وهى تعرف أنها ليست زراعية، ولكن لابد من دفع الرشاوى لاستخراج ورقة تفيد بأنها أرض صالحة للبناء، وثمنها باهظ لانستطيع دفعه أبدا، هؤلاء ظلمة، لا علاج، لا عمل، لا سكن، غير مسموح لنا أن نفتح محلًا ونعمل فيه، أو أن نترك دون دفع الجبايات لموظف الحى ليوافق على بناء غرفة نبنيها فى بيتنا لأحد أبنائنا، هم يريدون تركيعنا وإذلالنا كما يفعل المستعمرون فى الشعوب، هؤلاء كفار ولابد أن نستقل عنهم.

— الأمر ليس بهذه البساطة، أنت بهذه الطريقة تحارب الدولة التى تملك القوة وتستطيع أن تبيد المنطقة بسكانها فى دقائق.

— لذا نتحدث مع العالم لنضع المجتمع الدولى فى الصورة.

— ياصديقى، أنا لا أعرف كيف انشققت عن الشيخ (إبراهيم عزت) ؟ كيف نسيت مبادئ التبليغ والدعوة؟ ومتى تأثرت بهذه الأفكار مع أنك لا تحب العنف؟ وكنت دائماً تقول إن علينا أن نجاهد بالكلمة، وقد نجحت، وجمعت كل هذه الجموع بالحُسنى بعيداً عن الصدام مع الحكومة.

- الآن الوضع قد اختلف، فمعنا الناس والأرض، سائر ضواحى إمبابة ومراكزها معنا والحمد لله.

- سمعت أن الشيخ إبراهيم عزت يستنكر ما تفعل ويدعو الله لك بالهداية.

- أية هداية، هذا رجل يعمل مع الحكومة، ويحرم الخروج على الحاكم، ويسمى الحرية فتنة، بالله عليك هل سيرى الإسلام عزا على يد هؤلاء ؟

- الشيخ (إبراهيم) يحقن دماء المسلمين، وغايته نبيلة، فلقد عرفتهم عن قرب وخرجت معهم، فما رأيت منهم ما يخالف كتاباً ولا سنة، بل تعلمت منهم ما لم أكن أجده إلا عندهم.

- الذى ينفردون به هو الخنوع والضعف والخضوع للحكام ؟

- هم قوم يكثرون من قراءة القرآن والذكر المشروع، ويقيمون الصلاة فى المساجد ولا تكاد تجد رجلاً منهم يتخلف عن صلاة الجماعة ولا يخوضون فى أعراض الناس ولا يتكلمون إلا بخير.

أحس (جابر) بأن حسن يقصده هو فسأله :

ماذا تقصد ياصاحبى؟ وعمن تتكلم ؟

- لا أقصد الإساءة، ولكن هؤلاء يبتعدون عن كل شئ يمكن أن يفرق المسلمين مثل الخلافات المذهبية، حتى تظل قلوبهم مؤتلفة على طاعة الله ورسوله، وقد رأيتهم يحبون العلماء ويجلونهم الإجلال كله، ومن آدابهم في توقير العلماء خفض الصوت في مجالسهم، وحُسن الإنصات إليهم، والتفانى فى خدمتهم، والتغاضى عن هفواتهم وزلاتهم، وطلب الدعاء منهم، وما رأيت قوماً أطوع إلى العلماء العاملين منهم.

بدأت مظاهر الضيق تبدو على وجه (جابر) مما يقوله صاحبه، فقد كان مجرد شخص عادى حين كان يخرج فى سبيل الله مع جماعة التبليغ والدعوة، أما الآن فقد صار أميراً، لذلك بادر صاحبه بالسؤال:

- وكيف نصلى ونقرأ القرآن ونترك الكافرين يقهرون المؤمنين فى كل مكان؟ وكيف يأتى النصر دون سعى لتحقيقه؟

- هم قوم لا يتكلمون فى السياسة، ولايحومون حولها، ولا يتكلمون فى المشكلات الاجتماعية إلا بقدر ما تقتضيه الضرورة، ومبلغ همام طلب الآخرة مع الاحتفاظ بنصيبهم من الدنيا.

- ونحن كذلك يا صاحبى، ولكن بعزة وكرامة سنواجه أعداءنا طلباً للآخرة، وكى نحفظ نصيبنا من الدنيا.

فـى هـذا الوقـت تدخـل المذيعـة الإنجليزيـة لمقـر الشـيخ (جابـر) ومعهـا الشـيخ (مـراد) الـذى يقـوم بالترجمـة، وبـادر (مـراد) بإلقـاء السـلام:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وعليكم السلام أخى مراد.
- السـيدة (كاتريـن) عندهـا بعـض الأسـئلة ونحـن جاهـزون للحـوار يامولانـا.
- توكل على الله فأنا جاهز.
- هـل ماتـردد عـن أنكـم تريـدون الانفصـال عـن جمهوريـة مصـر العربيـة صحيـح؟
- نعم وقد وعدنا الله بالنصر.
- كل الظـروف المحيطـة تجعـل هـذا مسـتحيلاً، فليـس لكـم حـدود معـترف بهـا دوليـاً وأنتـم محاطـون بجمهوريـة مصـر مـن كل اتجـاه، ومسـاحة الإمـارة صغـيرة جـداً وعـدد سـكانها أيضـاً صغـير جـداً، ولا تملكـون إلا مطـاراً واحـداً ولم تحكمـوا قبضتكـم عليـه حتـى الآن، وعندكـم بعـض الميلشـيات الصغـيرة التـى لا تسـتطيع أن تواجـه جيـش دولـة كبـيرة وقديمـة فـى المنطقـة.

جابر (بكل ثبات ويقين):

– نستطيع.. بسم الله الرحمن الرحيم «فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا اليَوْمَ بِجَالُوتَ وجُنُودِهِ قَالَ الَذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ»

صدق الله العظيم

– معظم سكان المنطقة ليسوا معكم، والأقباط منزعجون.

– الناس معنا بفضل الله وسينصرنا الله بهم، أما الأقباط فهم أصلاً من شبرا ومارى جرجس، وعليهم أن يعودوا، سيكون هذا أفضل لهم ولنا.

– متى ستعلن انفصالك وإقامة دولتك؟

– قريباً بإذن الله.

فقال حسن :

– نشكركم، فقد انتهى المؤتمر الصحفى والشيخ سيذهب للصلاة.

انصرف (مراد) و(كاترين) وغادر (جابر) وحسن الصالة ودخلا الغرفة والناس مازالوا يتوافدون للقاء الثلاثاء، وقد اندس بينهم (ليزا) وقيادة و أشرف ورجال المعلم (جلهوم) حسب الخطة.

قال قيادة مخاطباً (ليزا): إيه الخَلق دى كلها؟!

ليزا: دول ناس طيبين بتوع ربنا، مش زيك.

أشرف: ولا بتوع ربنا ولا حاجة، دى سبوبة ياعم الحاج، ربنا يوفقهم ويوفقنا فى المصلحة اللى هنقضيها.

يتظاهر قيادة بأنه شيخ : موفقين يا أخى إن شاء الله ويضحك (ليزا) وقيادة و أشرف.

يتقدم (ليزا) ومعه رفاقه فى شارع المطار حتى يصلوا إلى سكة الصوامع، كل شئ على مايرام، ولكن القطار لم يأت بعد.

ليزا: الناس عمالة تعدى والقطر ما جاش.

أشرف: زمانه جاى، أنا ظابط كل حاجة، وباشوف المنظر دا كل أسبوع.

قيادة: الناس بتعدى وأعدادهم بتقل، وحتى لو القطر جه مش هيهدى.

ليزا: انسوا الموضوع دا، القطر سرعته بطيئة جداً فى كل الأحوال، وأنا بعون الله هاتصرف.

يعبر أنصار الشيخ (جابر) سكة الصوامع ويدخلون إلى شارع البوهى، (ليزا) ورفاقه يجلسون على قضبان السكة الحديد، ينتظرون القطار ومعهم رجال المعلم (جلهوم) وكل واحد منهم يركب سيارة نقل.

تمر الساعات كأنها سنين، وبعد مرور ثلاث ساعات ظهر القطار بطيئاً جداً كأنه ثعبان يزحف.

نظر (ليزا) لأصحابه والقطار يقترب، قفز، أمسك بحديد كابينة قيادة القطار فرآه السائق الذى أوقف القطار فوراً ولاذ بالفرار، (ليزا) يشير لرفاقه كى يصعدوا ويحملوا الغلال.

أشرف: مية مية يا (ليزا).

قيادة: معلم .

حمل رجال المعلم (جلهوم) الغلال، وكأنهم يلعبون مباراة كرة قدم، والناس يشاهدونهم ولايتدخلون، بل ومنهم من يؤيدهم.

كل الناس هنا يكرهون الحكومة ويتمنون لها كل شر، ويقولون: دى بلد الباشوات وليس لنا مكان فيها، لا عمل، لا سكن، لا علاج .

ركب (ليزا) ورفاقه السيارات المُحملة بالغلال، والناس يهللون لهم: «تسلم إيديكم»، «ربنا ينصركم على الظلمة»، ووصلوا مخازن (جلهوم) الذى أعطى لهم المبلغ المتفق عليه، ألفين عن كل حمولة فصار المبلغ المستحق عن ست حمولات اثنى عشر ألفا.

– مرضى يا أشرف؟

قالها المعلم (جلهوم) وهو يعطيه المبلغ.

أجابه أشرف : مرضى.

أخذ أشرف المبلغ كاملاً من (جلهوم) وأعطاه لـ (ليزا) تقديراً لدوره فى العملية قائلاً:

– قسِّم يا كبير.

ليزا: كلنا قد بعض، أربع تلاف لكل واحد.

قيادة: على البركة.

أشرف: على البركة.

كوافير عبير

استيقظت (أمل) من نومها مبكرة، واستعدت للذهاب للعمل بعدما بددت صفاء شكوكها تجاه مدام عبير، وبمجرد وصولها الكوافير قابلتها عبير بحفاوة بالغة.

بدأت (أمل) فى تجهيز المعدات والأدوات، كى يكون المحل جاهزا لاستقبال الزبائن.

أذن العصر ولم تدخل زبونة واحدة الكوافير مما أصاب (أمل) بالإحباط، ماذا ستقول عنها عبير، أكيد ستتشاءم منها، لذلك سارعت (أمل) إلى السؤال:

— هما الزباين بيجوا إمتى يامدام؟

— ماتشغليش نفسك.

— أنا خايفة بس لتقولى إن وشى وحش عليكِ.

— وشك ؟! دا انتِ قمر، أجمل واحدة شفتها فى حياتى، وشك حلو وجسمك حلو.

عاد القلق يساور (أمل) مرة أخرى:

– هو فيه حاجة يامدام؟!

– أبداً ياحبيبتى، ماتيجى تساعدينى فى تنظيف الحوض اللى جوه.

– من عينيّ حاضر.

قالت لها (عبير) وهى تعطيها (تى شرت): طب اقلعى هدومك والبسى البادى ده عشان هدومك ما تتبهدلش.

– لا يا مدام، ولا يهمك، الهدوم اللى أنا لبساها دى قديمة، وأنا باشتغل بيها.

ومشت فى اتجاه الحوض كى تنظفه ولكن عبير ظلت تنظر لمؤخرتها وهى تمشى كأنها رجل ينظر بشهوة لامرأة.

دخلت عبير خلفها، وجذبتها إليها قائلة : أنا باحبك قوى، من ساعة ماشفتك وانا مش على بعضى، انا هاخليكى هانم، ومش هاضايقك أبدا، كل اللى نفسى فيه إنك تسيبينى أحبك.

ظلت (أمل) تسمع كلام عبير بذهول، تسمرت فى مكانها، فأخذت عبير تعبث بصدرها، فأفاقت من ذهولها وصفعتها على وجهها وغادرت الكوافير.

مرت (أمل) أمام قهوة (وزة) فلمحها (ليزا) وهى تبكى، فانتظر حتى تصل المنزل ثم لحق بها ورن الجرس.

(وهى تبكى) : مين ؟

— ليزا، ماتفتحيش، وكلمينى من ورا الباب.

— أيوة يا (ليزا)؟

— مالك ؟ هو فيه حد ضايقك؟!

— لا أبدا.

— خلى بالك انتِ هنا ملكة، ماينفعش حد يزعلك ولازم تقوليلى مين زعلك، لأنى كدا هاطلع دى الوقت أضرب كل الناس اللى فى الشارع، وكل الناس اللى فى شغلك، لأن فيهم واحد زعلك.

سرت إلى نفس (أمل) موجة من الفرح، فظلت تستمع إلى كلمات (ليزا) الذى حولت الحزن إلى فرحة والخوف إلى ثقة :

— ربنا يخليك لىّ، الحكاية كلها إنى طلبت سلفة والمدام كسفتنى.

— كويس إنها جت منها، بصراحة موضوع الشغل دا مايلزمنيش وانتِ ملزومة منى.

— لا، طبعا ماينفعش، انت يادوب مكلم بابا، حتى الفاتحة لسه ما قرينهاش، يعنى لسة مش خطيبى.

— يعنى انتِ مش خطيبتى؟!

– لأ .. خطيبتك.

– يعنى انتِ مش حبيبتى؟!

بدأت السعادة ترقص فى عينى (أمل) :

– حبيبتك ومسئولة منك يا حبيبى، ربنا بعتك لىّ ملاك يرحمنى من العذاب اللى فى الدنيا دى (وتبكى) باحبك قوى يا (ليزا) وتفتح الباب.

– لا يا (أمل) ما تفتحيش الباب، لسه بدرى، ربنا يقرب البعيد، هو عم صلاح ما قاليكيش؟

– على إيه ؟!

– احنا هنفتح استوديو (مونااليزا) بتاع أبوى، أنا اتفقت مع عم عبدالله إنه يرجعه لى، وهنفتحه أنا وعم صلاح وانتِ تقفى فيه، وبكدا ماحدش يقدر يجيب سيرتك أبدا لأن أبوكِ هيكون معاكِ، وهيكون شريكى فى المحل.

– هو أنت بتخاف علىّ قوى كدا ياليزا، خايف علىّ من كلام الناس، وخايف علىّ، حتى من نفسك .

تدب فى نفسها جرأة مفاجئة وأشواق جارفة فتفتح الباب وتضمه إلى صدرها، وكأنه تختبئ فى قلبه بحثاً عن الأمان.

يبعدها (ليزا) عنه برفق ويغلق الباب قائلاً :

– تصبحى على خير ياحبيبتى، ربنا يقرب البعيد.

ترد (أمل) وهى فى حالة من الهيام:

— وانت من أهله ياحبيبى.

دخلت (أمل) السرير وكأنها فراشة محلقة تسمع أغنية عبدالحليم حافظ، أول مرة تحب ياقلبى وأول يوم اتهنى، وتغنى معه، حتى تنام، ولم تستيقظ إلا على صوت الباب.

— مين ؟

— أيوه طبعا، بقى فيه حد غيرى بيسأل عنك؟

قالت صفاء.

— أهلا صافى.

— لأ، دا الموضوع كبر قوى، صافى، بركاتك ياعم (ليزا) .

— باحبه قوى قوى.

— إيه دا كله ؟!

— مش عارفة، قربت اتجنن من حبه، راجل قوى، وبيخاف علىّ، ومحترم، مش عاوز منى حاجة، كل هدفه فى الدنيا، يحافظ علىّ ويريحنى، هو فيه حد فى الدنيا كدا، أنا حاسة إنى باحلم ياصافى، وباتمنى من ربنا ما اصحاش من الحلم دا أبداً أبداً .

— ربنا يسعدك ياحبيبتى كمان وكمان، ماقولتيليش إيه أخبار الشغل؟

تغير لون وجه (أمل) وانطفأت سعادتها:

— مش قلت لك الولية دى مجنونة، عاوزانى، والله زى ما باقول لك كدا، كأنها راجل، أنا كنت حاسة من الأول بس انتِ اللى طمنتينى.

— ياشيخة، عملت لك إيه، بنت المجنونة دى؟

— قالت لى أنا باحبك وهنغنغك وأديكِ فلوس كتير.

— طب وهى عندها فلوس كتير، غريبة مايبانش عليها.

— تغرينى بالفلوس عشان عارفة إن أنا محتاجة، وفاكرة إنى ممكن أطاوعها، عموما ربنا يشفيها، باقى لى تلاتين جنيه عندها مش عاوزاهم تغور بيهم.

— يعنى انتِ كدا مش هتروحى تانى.

— انتِ اتجننتى، أروح فين؟!

— خلاص حلال علىّ العروسة.

— بتقولى إيه؟

— حلال علىّ التلاتين جنيه، هاروح آخدهم من عينيها.

وانطلقت صفاء حتى وصلت كوافير عبير ودخلت وما إن وقعت عيناها فى عينى عبير حتى افترستها بعينيها، وأخذت تحضنها وتقبلها وتعبث فى جسدها كله، لم تترك جزءاً منه إلا ومررت يدها عليه وهى تقول :

— لما انتِ عاوزة تتبسطى جايه لأمل الغلبانة، أنا اللى ها اظبطك، وأغلقت باب الكوافير، وجردتها من ملابسها وظلت فى حضنها لأكثر من ساعة، ثم سألتها :

— إيه رأيك ياعبورة، اتبستطى؟

— آه، قوى.

— طب ممكن بقى تشوفيلى ميتين جنيه عشان اتبسط أنا كمان؟

— من عينيَّ حاضر.

— وممكن التلاتين جنيه بتوع أمل، عشان أنا اديتهم لها، لأن الموضوع فى وشى.

— حاضر، أهم .

— ما تخافيش أبدا سرك فى بير، أنا هاروقك وهاجيب لك بنات على مزاجك ويابخت من نفع واستنفع.

— ربنا يخليكِ ياصافى، ياريتنى قلت لك من زمان.

— ولو ليكِ شوق من الرجالة أجيب لك برضه.

— قطعوا، أنا باحب البنات قوى خصوصاً الصغيرين، ألمس الواحدة منهم أتكهرب، أحضنها، أبوسها، وهى تعمل فىّ زى ماهى عاوزة.

— دا انتِ صاحبة مزاج بقى؟!

— ماتعرفيش النار اللى أنا فيها، اتجوزت مرتين، وفشلت فى المرتين، وعمرى ما حسيت بأى راجل أو اشتقت له، حاسة إن جواى راجل وباحب البنات الصغيرين بالذات اللى وشهم جميل أحضنهم وأبوسهم.

— ودا من إيه؟! لوحدك كدا، ولا عرفتِ راجل مقرف كرهك فى الرجالة؟

— بالعكس، الجوازتين كانوا زى الفل، شباب، وجمال، ونظافة، وكانوا شغالين معايا هنا، واحد مشى والتانى جه واتجوزنا، كنا بنخرج ونتفسح ونتعشى سوا ونضحك وكله تمام وأول ما ندخل السرير ابقى مش طايقاه، ومش قادرة اتجاوب أبدا، باحس إنى أنا راجل، ومحتاجة دايماً لبنت جميلة جانبى.

لم يظهر على صفاء أى مظهر من مظاهر الدهشة، فكل شئ فى الدنيا أصبح عادياً بعد ما رأت من والدها مارأت:

— غريبة دى والله، وأول مرة حسيتِ بالإحساس دا إمتى؟

— وانا صغيرة كانت أختى الكبيرة سعاد زى القمر، أحلى

منى بكتير، شبه (أمل) كدا، بابا جوزها لواحد سعودى مقيم فى السعودية وبيجى لها اسبوع واحد كل سنة، وهى فى عز شبابها، اتنين وعشرين سنة، وكنت وقتها صغيرة، ستاشر سنة، كانت عايشة معانا فى البيت وما بتروحش شقتها إلا أسبوع واحد فى السنة.

— دا إيه العيشة المرة دى ؟!

— بدأت الحكاية فى يوم عمرى ما هاقدر أنساه أبدا، بابا كان فى الشغل، وكنت داخلة استحمى، قالت لى سعاد: تعالى أدعك لك ضهرك، ولا تكونى مكسوفة منى ؟!، أنا ياما حميتك وانتِ صغيرة، زى ماكانت ماما بتحمينى.

وافقت، وبدأت تحمينى، وكانت أول مرة فى حياتى حد يشوفنى وأنا عريانة سواء راجل أو ست .

سألتها (صفاء) باهتمام:

— وبعدين إيه اللى حصل؟

— بدأت تحسس على جسمى وتحرك إيديها فى كل حتة.

— وانتِ عملتِ إيه ؟

— بينى وبينك، خفت فى الأول، وبعد دقايق حسيت بلذة رهيبة، سبتها تعمل زى ماهى عاوزة، وعملت نفسى مش فاهمة.

— هـى فضلـت فاهمـة إن انـتِ مـش فاهمـة؟ إيـه يابنتـى الأفـلام دى؟!

— مـا انـا هـا اقـول لـك أهـو، فـى يـوم دخلـت عليهـا لقيتهـا عريانـة مـع نفسـها، فخرجـت وجريـت، خرجـت ورايـا، وقالـت لى : اوعدينـى، ورحمـة ماما ماتقولى لبابـا، ولا لأى حـد اللـى شـفتيه، أنـا تعبانـة، وغصـبٍ عنـى، وجـوزى بقالـه عشـر شـهور مسـافر وسـايبنى، وانـا مـا غلطتـش، مـش أحسـن مـا أعـرف راجـل، وأفضـح نفسـى، وأضيـع شـرفى وسمعتـى، وسمعـة جـوزى وأبـوى.

— بينى وبينك عندها حق.

— وسـاعتها اديتنـى فلـوس كتـير، مـش فاكـرة عملـت بيهـا إيـه، وقالـت لى اتفقنـا، قلـت لهـا اتفقنـا، فبصـت لى باصـه جننتنـى سـاعتها، وقالـت لى وهـى بتحسـس علـى ضهـرى: ممكـن تحمينـى زى ماحميتـك، قلـت لهـا ماشـى.

— طب وبعدين، إيه اللى حصل ؟

— عشـنا احنـا الاتنـين مـع بعـض، خمـس سـنين مـن أجمـل سـنين عمرنـا، وهـى كانـت سـعيدة جـدا، خصوصـا إن بابـا كان صعـب جـداً، وكل شـئ عنـده كان ممنـوع، وبالـذات الخـروج مـن البيـت، ماكانـش فيـه أى فرصـة قـدام سـعاد إنهـا تتعـرف علـى راجـل تانـى مـع انهـا بتحـب الرجالـة

قـوى، مـش زيـى، لحـد ماجوزهـا قـرر إنـه ياخدهـا معـاه بعـد وفـاة مراتـه السـعودية، وكنـا فرحانـين، وقلنـا ربنـا عـوض صبرهـا خـير، سـاعتها ماكانـش فـى بـالى أى حاجـة، لحـد مـا مـر أسـبوع، لقيـت نفسـى تعبانـة جـداً ومحتاجـة لهـا قـوى .

— وعملتِ إيه؟

— اتصلـت بيهـا، وعرفـت إن هـى كمـان تعبانـة مـن بعـدى عنهـا لدرجـة إننـا كنـا بنريـح بعـض فـى التليفـون، واتجـوزت أنـا بعدهـا مرتـين، ولكـن كل مـا اشـوف زبونـة وشـها جميـل أحسـس علـى شـعرها وانـا باشـتغل وابقـى نفسـى فيهـا، ويامـا حصلـت لى مشـاكل كتـير.

— زى إيه؟

— أغلـب الزبايـن مرتاحـين ماديـا، وكانـوا بيرفضـوا، لكـن لما ألاقـى وحـدة جميلـة وظروفهـا صعبـة كنـت باقـدر أغريهـا بالفلـوس والهدايـا لحـد ماتوافـق.

— زى ما كنتِ عاوزة تعملى مع (أمل) .

— دى قمر، لغاية دى الوقت هاتجنن عليها.

تقـول لهـا صفـاء وكانهـا تغنـى : مـا احنـا كمـان حلويـن قـوى .. حلويـن قـوى .

- انـتِ زى القمـر ياحبيبتـى، بـس انـتِ ماشـاء الله هجمـة تخوفـى، لـو عملـت معـاكِ حاجـة ممكـن تضربينـى، واموت فـى إيـدك، ودا اللـى بيخلينـى ديما أنقى البنـات الصغيرين.
- سـيبى الموضـوع دا علـىّ ياقمـر، أنـا هاظبطـك، بـس انـتِ أهـم حاجـة تظبطينـى بالفلـوس.

راحت عبير تقبل صفاء قائلة : كنتِ فين من زمان ؟!

مهمة مقدسة

كانت ساحة المسجد ملأى بالمبلغين الذين فرغوا من صلاة العصر، ويتمون الإعداد للخروج فى سبيل الله فى منطقة إمبابة، حيث سيكون التجمع فى مسجد الصحابة.

الشيخ (إبراهيم) يتحدث للأفواج الخارجة فى سبيل الله:

- بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، أيها الأحباب، المبلغون عن الله ورسوله، أنتم تقومون الآن بما كان يقوم به رسول الله وأصحابه، ولكى تنجحوا فى مهمتكم الربانية، عليكم بصدق اليقين، ومن ثمراته الاعتماد على الله وحده، والثقة الكاملة بفضله، وحسن التوكل عليه من الأخذ بالأسباب المشروعة فى تحصيل الأرزاق وقضاء الحاجات.

- الشيخ (عبدالمنعم): والنية يا مولانا، ماذا عن تصحيح النية؟

- تصحيح النية معناه مراقبة النفس ومحاسبتها أولاً بأول، وتعديل مسارها فى الحياة، وردها إلى الله تبارك وتعالى

كلما غفلت عن ذكره وشكره وحسن عبادته، حتى يصل بها إلى الأمن المنشود، الذى نبأنا الله عنه بقوله فى سورة الأنعام: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون».

انبرى أحد المبلغين يسأل الشيخ: وما معنى هذه الآية يا مولانا؟

- أى أولئك لهم الأمن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة، والسعادة فى نعمة الأمن، والأمن يتبع الإيمان، بل هو منبعه ومصبه.

- إذن صدق اليقين وتصحيح النية هما الأصلان اللذان بنيت عليهما جماعة التبليغ والدعوة.

- بل اعتمدت الجماعة على أربعين أصلاً أهما صدق اليقين وتصحيح النية.

- وماذا عن الأصول الأخرى يامولانا؟

- حسن الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم، وطلب العلم الموصل إلى الله تعالى، وبذله لمن يطلبه، وإقامة الصلاة فى المساجد بخشوع، وخضوع، وتمسكن، وتواضع، وإكرام المسلمين جميعا، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وإصلاح ذات البين بالحكمة والموعظة الحسنة، والخروج فى سبيل الله لنشر الدعوة.

تدخل الشيخ (عبدالمنعم) قائلاً: جزاك الله عنا خيراً يامولانا.

ثم أكمل الحديث مخاطباً المبلغين: وفى أثناء الخروج عليكم بأربعة أشياء هى: الدعوة إلى الله، والعلم والتعلم، والعبادة والذكر، وخدمة المسلمين.

الشيخ (إبراهيم): نعم، وعليكم الالتزام بأربعة أشياء: طاعة الأمير، والعمل الجماعى، وآداب المساجد، والصبر والتحمل .

الشيخ (عبدالمنعم): نعم وعليكم الامتناع عن أربعة أشياء: الإسراف، وسؤال غير الله، استعمال حاجة الغير إلا بإذنه، والإشراف وهو يعنى تمنى ماعند الغير.

الشيخ (إبراهيم): وعليكم أن تقللوا من الطعام، والمنام، والكلام فى غير ذكر الله ووقت قضاء الحاجات.

ثم وقف الشيخ (إبراهيم) وقال بلهجة حماسية: هذه هى جماعتكم، جماعة التبليغ والدعوة، وهذه هى الأصول التى ستعتمدون عليها فى نشر دين الله وحمايته ونصرته وتطبيق أحكامه وآدابه.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يلهمنا الرشد والسداد فى أقوالنا وأفعالنا، إنه سميع قريب مجيب الدعوات، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

انطلقت الجموع من مسجد أنس بن مالك فى طريقها إلى حى إمبابة، وكل مجموعة خصص لها مسجد للتجمع فيه.

الشيخ (رضوان) هو أمير الجماعة المكونة من أربعة أفراد والمتجهة لسور الصنايع، وتجمعها سيكون فى مسجد الصحابة فى الشارع نفسه.

و (رضوان) هو صاحب الوجه المضئ، والبسمة الدائمة التى لاتفارق وجهه أبداً، رجل نورانى مريح لكل من يراه، عمامة بيضاء على رأسه، وجه أبيض ولحية سوداء طويلة، وهو فى الأصل من هذه المنطقة، ويعرفه معظم أصحاب المحال وهو يعرف أغلبهم.

اتجه الشيخ (رضوان) إلى سور الصنايع، وبدأ الجولة بدخول محل الحاج (سليمان) الترزى.

— السلام عليكم ياحاج (سليمان)، انت فاكرنى ؟

— طبعا فاكرك ياشيخ (رضوان)، هو أنا أقدر أنسى الناس الطيبين؟!

— الله يخليك ياحبيبى، بارك الله فيك.

ثم أشار إلى أحد أفراد جماعته قائلاً:

— أخى الشيخ (محمود) عاوز يتكلم معاك لو تسمح ؟!

— أهلا وسهلا.

محمود: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

سليمان وكل الحضور: صلى الله عليه وسلم.

محمود: احنا عاوزينك معانا فى المسجد ياعم الحاج، هنقرا ماتيسر من القرآن، ونسمع الدرس مع بعض بعد صلاة المغرب، هنا قدامك، فى مسجد الصحابة .

سليمان: إن شاء الله يا ابنى، أنا معايا قميص بتاع زبون باشطب فيه، قدامى ربع ساعة وأحصلكم على المسجد.

رضوان: فى انتظارك يامولانا .

ينطلق (رضوان) وجماعته فيصل إلى عم (بلال) الحلاق، فيدخل المحل: السلام عليكم ياحاج (بلال).

بلال: وعليكم السلام ياشيخ (رضوان).

يقدم (رضوان) شاباً آخر من جماعته قائلا:

— الشيخ سلامة عاوز يقول لك كلمتين ياعم (بلال).

بلال: أهلا وسهلا، تشربوا إيه الأول؟

رضوان: جزاك الله خيرا.

سلامة: احنا عاوزين نشرب من شهد الطاعة، الطاعة طعمها حلو قوى، والصحبة الحلوة أجمل ما فى الدنيا ياعم سلامة، ومرافقة الصالحين كنز كبير قوى.

بلال: معاك حق يا عم الشيخ.

سلامة: عاوزينك معانا فى المسجد، نقرا قرآن ونسمع الدرس بعد المغرب.

بلال: توكلنا على الله يلا بينا.

خرج (بلال) معهم فأضاء وجه الشيخ (رضوان) وفرحت جماعته.

رضوان: فى مسجد الصحابة اللى على الناصية.

بلال: أنا ماشى قدامكم أهو، ولما تخلصوا هاتلاقونى مستنيكم فى الجامع، ربنا يوفقكم.

سلامة: بارك الله فيك ياعم (بلال)، فأنت فعلاً رجل صالح.

بلال: الله يكرمكم ويوفقكم.

تنطلق الجماعة فتذهب إلى قهوة (وزة)، يدخل الشيخ (رضوان) لشاب جالس فيحدثه قائلاً:

– السلام عليكم يا أخى، ممكن نتعرف على حضرتك ؟

يرد الشاب: (جمال).

رضوان: احنا معانا أخونا (إسماعيل) (يشير إلى أحد أفراد مجموعته).

الشاب: عاوزين إيه يعنى؟

إسماعيل: إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ....

الشاب مقاطعاً: هو أنت هتخطب ؟

رضوان يرد على الشاب: أخوك (إسماعيل) بيبدأ حديثه بحمد الله كما أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

جمال: باقول لك إيه ياعم انت وهو، غوروا من وشى بدال ما اتغابى عليكم.

رضوان: لاحول ولاقوة الا بالله.

جمال: انت هتمشى انت وهو من هنا، ولا اخلى وشكم شوارع؟

رضوان: لاحول ولا قوة إلا بالله.

اسماعيل: حسبى الله ونعم الوكيل.

انت بتحسبن علىّ، والله لاشرحك.

قالها (جمال) وهو يمسك باسماعيل ويهم كى يضربه.

جرى (حمادة) القهوجى على (ليزا) قائلاً:

- الحق ياعم (ليزا) ... (جمال) ابن المجنونة هيضرب الشيوخ ويكسر القهوة.

انتفض (ليزا): فيه إيه (ياجمال)؟

جمال: مافيش ياعم الحلو، خليك فى حالك.

ثم وجه كلامه للمشايخ قائلاً: وانت ياعم انت وهو غوروا من هنا، ماتضيعوش الدماغ اللى احنا عاملينها.

صفع (ليزا) (جمال)، ثم ضربه فى وجهه بقبضة يده ضربة قوية، فسال الدم من فمه.

قال له صاحبه: إيه اللى انت قلته دا يا (جمال) ؟!، انت ماتعرفش دا مين؟!، دا (ليزا)، حد مايعرفش (ليزا)؟!

ليزا: مش مهم (ليزا)، المهم يحترم الناس دول، دول ناس بتوع ربنا، دول أسيادنا، وفوق دماغنا، وليهم كل الاحترام.

ثم وجه كلامه لجمال: قوم بوس على راس عمك الشيخ وبوس إيده.

قال جمال وهو يقبل يد الشيخ الذى سحبها بسرعة: حقك علىّ ياعم الشيخ .

انبهر الشيخ (رضوان) ب (ليزا)، وقال فى سره «اللهم أعز التبليغ والدعوة ب(ليزا)».

ليزا للشيخ (رضوان): أى حد يتعرض لكم قول لى يا مولانا.

قال (رضوان) وكأنه اتخذ قراراً بضم (ليزا) لجماعة التبليغ والدعوة:

— احنا عاوزينك انت معانا فى مسجد الصحابة يا أستاذ (ليزا).

فاجأهم (ليزا) وهو يمشى معهم قائلاً لهم: حاضر.

رضوان: بتعرف تقرا يا أستاذ (ليزا)؟ وحتى لو مابتعرفش كفاية إنك تسمع القرآن.

ليزا: إيه اللى بيخلى حضرتك تقول كدا ؟! على فكرة ياشيخ (رضوان) أنا باقرا واكتب كويس، وعلى فكرة أبوى الله يرحمه كان جايب لى شيوخ وأنا صغير، وحافظ تلات أجزاء وانا عندى خمس سنين.

رضوان: ماشاء الله ... مين والدك؟

ليزا: (محمود) صاحب استديو (الموناليزا).

رضوان: الله يرحم والدك، كان راجل صالح ومحترم، أنا فاكرك وانت صغير، أبوك كان عاوز يطلعك عالم من علماء الدين، وجابك لى وانت صغير، وطلب منى أجيب له محفظ على ضمانتِ، وعرفته ساعتها على الشيخ (عطية) اللى كان بيحفظك.

ليـزا: أيـوه ... الشـيخ (عطيـة) الله يرحمـه هـو اللـى كان بيحفظنـى القـرآن فـى مسـجد الصحابـة.

رضـوان: يعنـى احنـا ضيـوف عنـدك فـى مسـجدك ياشـيخ (ليـزا).

يدخـل (ليـزا) المسـجد الـذى تعلـم فيـه القـرآن وهـو صغـير حفظـاً وتـلاوة وأحكامـاً حتـى صـار صوتـه العـذب يبكـى مـن يسـمعه .

توضـأ وصلـى ركعتـين، وظـل صامتـاً مذهـولاً كأنـه فـى حلـم جميـل، صلـى معهـم المغـرب وسمـع الـدرس ثـم عـاد إلى منزلـه، وأغلـق عليـه البـاب ونـام وكأنـه أبـى أن يسـمع أى كلام بعـد مـا سمـع ووصـل إلى حالـة مـن السـعادة لايريـد أن يفقدهـا.

أحمد قيادة

لم يعرف أحد من المحيطين به عنه شيئاً، حتى هو، لم يعرف شيئاً عن نفسه، من أين أتى ؟ من أبوه ؟ ومن أمه ؟، الكل لايعرف عنه إلا أنه أخ لعشرين نزيل فى ملجأ لرعاية الأيتام.

قليل الكلام، منطو، عاش فى الملجأ حتى صار له سند يحميه من بطش النزلاء، أشرف سعد، الذى أصبح السبب الرئيس فى قدرة قيادة على التخلص من الخوف المرضى، وشعوره الدائم أنه سيبطش به من أى شخص يحدثه أو يتعامل معه دون أى أسباب، لذا لا يستطيع قيادة أن يعيش بعيداً عن أشرف، وكأنه أبوه وأمه، أشرف يميل دائماً للعنف والشر، بينما ظل قيادة يكره الشر والعنف، ولكنه لايستطيع أن يرفض تنفيذ أوامر أشرف.

بادره أشرف بقوله:

— أما انا عندى ليك حتة دين مصلحة.

— إيه هى ؟ شكلك كدا هتودينا فى داهية.

— داهية ؟ طول عمرك بتمشى ورايا وبتكسب، تقدر تنكر؟

— قول بس، إيه هى المصلحة لاحسن الحالة تعبانة على الآخر.

— عملية مالتى سيستم، عملية فنية هادية ورايقة، وتتعمل بمزاج، ومن غير شوشرة، بهدوء ونلم منها فلوس قد كدا (ويفتح يديه على آخرهما)

— من غير سلاح؟

— ولا نقطة دم واحدة.

— لايمنى عليها، إمتى وفين؟

— فيه سيما فى وسط البلد اسمها السلطان، هنركب الميكروباص من عمارة البواب وننزل أبو العلا، عارف الوكالة، قدامها على طول.

— هو احنا هنروح المصلحة ولا هنروح السيما؟!

— المصلحة فى قلب السيما.

— مصلحة إيه اللى جوه السيما؟ هنبيع بيبسى، حاجة ساقعة، ونفضل ننادى طول النهار لحد مايتقطع نفسنا وتطلع عينينا وأخرتها يطلع لنا عشرين ملطوش بالكتير؟

— الصبر، وانا أفطمك على الدور كله، السيما دى ماليانة عيال شواذ.

— الله يقرفك، انت أكيد اتجننت.

— اسمع بس.

— أسمع إيه ؟! عايزنا ندى للعيال دول وناخد منهم فلوس، ونصرفها على الدوا، ماتعرفش إن القرف دا بيجيب الإيدز؟ يعنى كل الأمراض يامعفن.

— أنت مش فاهمنى.

— لأ، أنا فاهمك كويس ياعبد الفلوس، ممكن تعمل أى حاجة وكل حاجة عشان الفلوس، وانا كل مرة باطاوعك، بس المرة دى لأ.

— انت بتغنى وترد على نفسك، مين قال إن أنا ولا انت هنعمل حاجة زى دى؟

— انت.

— كل اللى هتعمله إنك هتوهم الواحد منهم إنك معجب بيه، وعاوزه، وهتعمل له كل حاجة نفسه فيها، بس المكان مش مناسب، وتجيبه ورا سور الصنايع، وانا علىّ الباقى.

— هاتعمل له إيه؟ (قالها قيادة متوجساً).

— هاثبته واخد منه الفلوس وأقلعه الساعة.

— الساعة بس؟ (وهو يضحك) باقول لك إيه؟ مدام انا مش هاعمل حاجة، ماتقوم بالعملية لوحدك.

— ماينفعش.

— ليه إن شاء الله؟

— شكلك طالب جامعى، وابن ناس، ماتخوفش، لكن أنا الكام بشلة اللى فى وشى، مش هيخلوا أى حد يوافق يروح معايا أى حتة.

— يكون فى علمك أنا هافضل لابس بنطلونى، ومش هاقلعه أبدا ودا شرطى الوحيد.

— والله ما هتعمل أى حاجة غير اللى قلت لك عليه، انت عليك تسلمه لى عند سور الصنايع، وأنا هاتصرف.

— اشمعنى دول بالذات؟! طب ماتاخد أى حد من اللى بيعدوا من عند سور الصنايع.

— بص ياغشيم، لما يكون الخروف بيعمل حاجة غلط مابيقدرش يفتح بقه، بيستسلم على طول ويطلع كل اللى معاه، وبيبقى هما الوحيد إنه يروح بس.

— يا ابن الذين!!

— يعنى واحد شاذ، وجاى معاك عشان يعمل حاجة كدا، مش ممكن يبلغ، أو يقول لحد من أهله أو جيرانه إن احنا ضحكنا عليه وخدنا منه الفلوس والساعة.

— فهمت، عشان كدا مالكش سوابق.

— الحمد لله.

— عشان ماحدش يقدر يبلغ، على فكرة انا مش هاروح السيما لوحدى، لازم تكون معايا.

— ماينفعش.

— ليه؟

— لأن صاحبنا بيخاف وبيختار دايماً واحد قاعد لوحده (قالها أشرف ثم غير نبرة صوته كأنه مدرس يعلم تلميذه): لو روحنا احنا الاتنين – شغل مخك – هيفكروا إن احنا مع بعض، يبقى خلاص، الشاذ عاوز واحد لوحده، انت كدا هتوقف حالنا.

— ليه هى السيما دى كلها كدا ؟!

— أيوه.

— والحكومة عارفة؟

— طبعا وإدارة السيما، والعمال، وكل المنطقة عارفة.

— طب هى ليه ما بتتقفلش؟!

— مصالح، يعنى ليه البارات اللى مفتوحة لشبكات الدعارة، والنسوان هات وخد فى ورش شارع الهرم، ماحدش يقدر يقول لهم بم؟

— يعنى أنا وأنا داخل من باب السيما ممكن حد يشوفنى ويقول على واحد من ولاد .... دول؟

— ادخل بسرعة، وماتخليش حد يشوفك وانت داخل، لكن جوه السيما عادى، لاتعايرنى ولا أعايرك، زيك زيه.

— انت متاكد من نجاح العملية دى؟

— أيوة، عمرها ماجلت معايا إلا مرة واحدة.

— إزاى ؟

— بعد ما خدت الواد وطلعت بيه بره، ركبت معاه المكروباص وشافنى فى النور، خاف، وقال للسواق على جنب يا اسطى، ونزل جرى، بس انت شكلك طيب وماتخوفش، والخطة كدا مية مية.

— خلاص نروح احنا الاتنين، ونعمل نفسنا مش مع بعض، وكل واحد فينا يقعد بعيد عن التانى.

— اتفقنا.

دخل أشرف وقيادة السينما، وجلس كل واحد منهما فى مكان بعيداً عن الآخر، بدأ الفيلم الثانى، فهذه السينما تعرض أربعة أفلام ثم تكررها مرة ثانية فى عرض مستمر، قيادة يجلس فى الصف الثانى وأشرف يجلس فى آخر صف، رائحة السينما لاتطاق، كريهة جدا، عدد المشاهدين لايزيد عن عشرين شخصا، كلهم رجال، لا توجد أى امرأة أو فتاة، وعلى الرغم من أن السينما كلها خالية تقريبا، إلا أنك ترى شخصاً مريباً يطوف طوال الوقت بين الكراسى يبحث عن كرسى خال، حركة تنقلات كل خمس دقائق تقريبا، من كان يجلس جانب شخص فى الكراسى الخلفية يتركه ويجلس بجانب شخص آخر فى وسط السينما وهكذا، لا أحد يشاهد الأفلام المعروضة.

قيادة يجلس مكانه، ولا أحد يكلمه أو يحاول التحرش به – كما توقع – فيحدث نفسه قائلاً: أكيد أشرف بيتكلم أى كلام، أو الموضوع دا حصل معاه صدفة، مرة وخلاص.

انتهى الفيلم الثالث، توجه قيادة إلى الحمام، فوجد شخصاً واقفاً كأنه حارس على الحمام، يمنعه من الدخول قائلاً: استنى شوية لما يخلصوا اللى جوه.

– دا السيما فاضية، وسع يابا.

(يـرى قيـادة اثنـين مـن الشـواذ يقومـان بممارسـة كاملـة للجنـس كأنهمـا رجـل وامـرأة، يضطـرب و يرتعـش مـن هـول مـارآه، فيجـرى خـارج الحمـام وخـارج السـينما، ويجـرى فـى الشـارع وهـو يتلفـت كـى يتأكـد أن أحـداً لم يـره وهـو يخـرج مـن هـذا المـكان الملعـون.

ليزا

لم يـر (ليـزا) أمـه أبـدا، فقـد قذفتـه إلى هـذا العـالم ثـم ذهبـت، فكانـت ولادتـه مفـرق طـرق التقى فيـه المسـافران لدقائق معـدودة ثـم انصرفـا، كل فـى طريقـه، ليلقـى كل واحـد منهمـا مصـيره الـذى ينتظـره، وينفـذ مـا أمـر بـه ومـا كتـب عليـه.

لم يرهـا إلا فـى تلـك الصـورة المعلقـة علـى حائـط غرفـة الضيـوف، والتـى طالمـا كان والـده يعلـق عليهـا قائـلاً:

– كانـت أمـك سـت الحسـن والجمـال وأنـا كنـت عريـس نمـرة واحـد، كل الجمـال اللـى فـى الصـورة ده عشـرة فـى الميـة مـن الحقيقـة لأن المصوراتـى كان علـى قـده، ياسـلام لـو الواحـد يقـدر يصـور نفسـه، كانـت الصـورة دى تاخـد جايـزة أجمـل صـورة لعريسـين فـى العـالم.

شـعور بالاشـتياق يجتـاح قلـب (ليـزا) وعقلـه، كأنـه يريـد أن يقـص علـى امـه قصتـه مـع (أمـل)، ويطلـب منهـا أن تخطبهـا لـه، ف (أمـل) الجميلـة تشـبه أمـه إلى حـد كبـير، ويبـدو أن هـذا هـو السـبب الخفـى الـذى يجعلـه يحمـل كل هـذه المشـاعر التـى هـى أكـبر مـن الحـب لأمـل.

يطوف (ليزا) بنظره فى كل جوانب البيت الخالى ويقف أمام وحدته التى قدر له أن يعيش فيها، وقدر له أن يتخلص منها ب (أمل) التى ستملأ هذا البيت حياة، «نعم سأتزوج، وأنجب أطفالاً يمتلىء بهم كل ركن من أركان هذا البيت الخالى، ستصبح لى عائلة ولن أعيش وحيداً أبداً بعد اليوم».

على غير عادته، راح (ليزا) يبحث عن أغان عاطفية فى الراديو، فكل مايذاع فى محطات الراديو لايتناسب مع ماهو فيه من رومانسية وشوق وفرح بحبه الوليد.

قولوا له، قولوا له، قولوا له الحقيقة

قولوا له باحبه، باحبه من أول دقيقة

قولوا له باحبه

ومدوبنى حبه

فى بحوره الغريقة

أبو عيون جريئة

هى دى: قالها ليزا عندما وجد أغنية عبدالحليم وأخذ يغنى:

فات جانبى وعيونه حبايبى

نسونى اللى عايشين جانبى

بصيت له قوام حبيته

وبفرحة عينيه ناديته

تسلم ياحلم، والله ماحد قبلك ولا بعدك.

ثم يعود للغناء، وهو يطوف بالشقة، وكأنه يريد أن يخبرها بأنها ستكون واحة للحب وعشاً للسعادة، وبعدما كانت مقراً لواحد وحيد، ستكون واحة للحب والسعادة مع عائلته الجديدة التى ستقضى على كل هذا الهدوء وتحوله إلى ضوضاء، وبكاء أطفال، وروائح أطعمة طازجة تنبعث كل يوم من بيت فيه حياة.

خرج (ليزا) بصحبة عم (عبد الله) و أشرف وقيادة متوجهين إلى بيت العروس لقراءة الفاتحة، الكل سعيد، الفرحة تملأ العيون، فالكل يحب (أمل) الطيبة التى تستحق رجلاً شهماً مثل (ليزا).

كانت (أمل) تترقب وصول (ليزا)، وما إن وصل حتى رقصت الفرحة فى عينيها، ولم تستطع أن تتحكم فى دموعها، (ليزا) يتقدم نحو العروس قائلاً:

— ألف مبروك ياحبيبتى.

— ربنا يبارك لى فى عمرك، ويخليك لىّ ياحبيب عمرى.

(ليزا) يقدم (دبلة) الخطوبة ل(أمل) فتسأله:

— ليه دبلتى أنا دهب ودبلتك فضة ؟!

— انتِ مش عارفة إن الدهب حرام على الرجالة، أنا عمرى مالبست حاجة دهب.

تتعجب (أمل) من رد (ليزا)، وتكتشف فيه جانباً آخر لم تكن تعرفه من قبل.

انطلق أشرف قائلاً: ماتشغلوا أغنية حلوة نرقص عليها.

يقوم قيادة ويمسك بيد العريس ويرقصان معاً، وتبدو السعادة فى عيون الجميع.

حتى (صلاح) والد (أمل) بدت فى عينيه فرحة جديدة لم تظهر فى عينيه قبل اليوم أبداً وهو يخاطب (ليزا) قائلاً:

— ألف مبروك يا ابنى، أنا ماعنديش أولاد صبيان، وانت من هنا ورايح هتبقى ابنى وجوز بنتى.

ليزا: جوز بنتك ؟! خلاص ياعمى واحنا عند قولك، يبقى نكتب الكتاب.

صلاح: الخميس الجاى.

أمل: مستحيل يابابا، مش هالحق أعمل حاجة.

ليزا منادياً على أشرف: هات لى مأذون دى الوقت حالاً.

أمـل (وهـى تشـعر بسـعادة غامـرة): إيـه الجنـان دا يا حبيبـى؟!

ليـزا: الجنـان إن احنـا نضيـع دقيقـة واحـدة واحنـا بعيـد عـن بعضنـا، شـقتنا موجـودة وحمـاكِ الله يرحمـه سـايب لنـا بيـت ملـك واسـتديو، وخـير ربنـا كتـير والحمـد لله وإن شـاء الله ربنـا يرزقنـا ويوفقنـا.

صلاح: على بركة الله.

يجـرى أشـرف وقيـادة كـى يحضـرا المـأذون الـذى سـيصدر فرمانـاً بالقضـاء علـى وحـدة (ليـزا) للأبـد، (ليـزا) الـذى عـاش وحيـداً منـذ كان طفـلاً فـى الخامسـة مـن عمـره حتـى الآن.

يدخـل المـأذون مـن البـاب فتعلـو الزغاريـد، و(أمـل) تنظـر إلى (ليـزا) بحـب وسـعادة وفخـر، وكأنهـا تريـد أن تقـول للعالم: هـذا الرجـل حبيبـى وزوجـى، وأنـا الوحيـدة فـى هـذا العـالم التـى سـتتربع علـى عـرش هـذا القلـب الكبـير.

الحصار

قـوات الأمـن تعلـن حالـة الطـوارئ وحظـر التجـول فـى إمبابـة وضواحيهـا، القـوات الخاصـة تحاصـر منـزل الشـيخ جابـر – قائـد الحركـة الانفصاليـة – وتقيـم حواجـز وكمائـن حـول المسـاجد الكـبرى فـى إمبابـة، المدرعـات تمـلأ الشـوارع، والطائـرات تغطـى سمـاء إمبابـة، أوامـر الاعتقـال موقعـة مـن وزيـر الداخليـة وتحـت تصـرف أمنـاء الشـرطة وصغـار الضبـاط، كل شـئ إذن جاهـز، قسـم إمبابـة تحـول إلى غرفـة عمليـات كبـيرة، وزيـر الداخليـة ومديـر الأمـن وكبـار الضبـاط فـى غرفـة العمليـات، سـيارات الجيـب المصفحـة تجـوب الشـوارع وتقبـض علـى أى شـخص يكسـر حظـر التجـوال، تم القبـض علـى مئـات الشـباب وذاقـوا كل ألـوان العـذاب كـى يدلـوا بمعلومـات تفيـد المباحـث فـى القبـض علـى (جابـر) و حسـن اللذيـن اختفيـا وكأنهمـا ذابـا فـى الهـواء، ولم يعثـر لهمـا علـى أثـر.

تحولـت إمبابـة إلى منطقـة حـرب، الجيـش والشـرطة وحدهما فـى الشـوارع وكل السـكان محبوسـون فـى منازلهـم مـن السادسـة مسـاءً إلى السادسـة صباحا.

كان (ليـزا) جالسـاً علـى القهـوة وحيـداً، والسـاعة تقترب من السادسـة، الحظـر سـيبدأ بعـد قليـل، المعلـم (وزة) يريـد أن يغلق القهـوة قبـل بدايـة الحظـر، لكـن (ليـزا) مـازال جالسـاً ينتظـر وصـول (أشـرف وقيـادة) اللذيـن اختفيـا منـذ فـرض الحصـار.

— هات شاى ياحمادة.

— هو دا وقته؟ عاوزين نروح قبل الحظر.

قالها (حمادة) بصوت منخفض كأنه يحدث نفسه.

— مـش تقـوم تـروح ياابنـى، دول بيقبضـوا علـى كل الشـباب مـن غـير سـبب .

قالها وزة ل (ليزا) ناصحاً.

— خليـك فـى حالـك، وإن كان علـى القهـوة أنـا سـايبها لـك مخضـرة.

— معلش يا (ليزا) والنبى ماتزعلش.

تـرك (ليـزا) القهـوة متجهـاً إلى ناصيـة سـور الصنايع، يحدث نفسـه وهـو يمشـى: ياتـرى العيـال دول راحـوا فـين؟! يكونـش اتقبـض عليهـم؟ لا مسـتحيل، دول بيقبضـوا علـى الشـيوخ الخارجـين مـن الجوامـع والشـباب اللـى ماسـكين المصاحـف ولابسـين جلاليـب بيضـا، لا.. لا، دول شـكلهم شمـال الشـمال، ومـش ممكـن يتقبـض عليهـم مـع المشـايخ.

خـرج ليـزا مـن سـور الصنايـع ودخـل شـارع ترعـة السـواحل فاسـتوقفه أمـين شـرطة: بطاقتـك.

— أنا (ليزا) وطول عمرى بأقف هنا.

— البطاقة ياروح أمك.

قالها أمين الشرطة وهو يضرب (ليزا) على وجهه.

ليزا يصرخ: انت بتضربنى أنا؟! أنا اتضرب بالقلم؟!

— واضربك بالجزمة كمان.

قالهـا أمـين الشـرطة وهـو يضـرب (ليـزا)، وفـى لحظـات كان كل جنـود الشـرطة قـد تجمعـوا وأخـذوا يضربـون (ليـزا)، ثـم حملـوه وألقـوا بـه فـى الشـاحنة الكبـيرة مـع باقـى المعتقلـين، ظـل (ليـزا) ينـزف ودمـاؤه تغطـى ملامحـه وهـو يتـألم بعدمـا تورمـت قدمـاه ووجهـه مـن الضـرب، والشـاحنة مكتظـة بالشـباب وكلهـم بنفـس حالتـه إلا قليـلا منهـم.

أحد المعتقلين يسأل ليزا: ما تعرفش هيودونا فين؟

— أنـا مـش عـارف، ولغايـة دى لوقـت مـش مصـدق اللـى بيحصـل.

تدخـل معتقـل آخـر: مـدام العربيـة ماشـية فـى اتجـاه الدقـى يبقـى احنـا رايحـين مقـر أمـن الدولـة فـى (جابـر بـن حيـان)، هيكشـفوا علينا هناك، وإن شـاء الله نروح... أنا ماعملتش حاجة.

ليـزا: انـت فرحـان إنهم هيودونا ورا الشـمس، أمـن الدولة ؟!

— طبعـا، دول لـو ودونـا قسـم إمبابـة هنتعلـق ونتنفـخ ونمـوت ويدفنونـا مـن غـير ماحـد يـدرى بينـا، واللـى هيسـتحمل جوابـات الاعتقـال جاهـزة.

— ولمـا نـروح أمـن الدولـة هيعملـوا لنـا شـاى يعنـى ؟! كـدا ضايعـين وكـدا ضايعـين.

— أمـن الدولـة عاوزيـن المطلوبـين عندهـم، أنـا لىّ واحـد ظابـط قريبـى فهمنـى الحكايـة دى، قـال لى إنهـم بيقبضـوا علـى النـاس الأول، وبعـد كـدا بيعملـوا عنهـم تحريـات، وإذا ثبـت إنهـم مـش مطلوبـين بيخلـوا سـبيلهم، وإذا كانـوا مطلوبـين، بيحـرروا محاضـر وهميـة بـأن التحريـات أثبتـت إنهـم إرهابيـين، و يصـدر قـرار بالضبـط والإحضـار، ويتـم بعـد كـدا القبـض عليهـم بنجـاح، وبكـدا تبقـى صورتهـم حلـوة قـدام الكبـار، لكـن لـو قالـوا علـى حـد إنـه متـورط فـى جريمـة تمـس أمـن الدولـة وماقـدروش يقبضـوا عليـه بيبقـى موقفهـم صعـب جـداً.

— يعنـى إيـه يقبضـوا علـى النـاس الأول ؟! ليـه همـا بهايـم مـش بنـى آدمـين ؟!

— طبعا مش بنى آدمين .

عقب معتقل آخر: لا، بنى آدمين، وربنا ينتقم من الظالمين إن شاء الله.

ظلت الشاحنة تسير حتى وصلت (جابر بن حيان)، نزل الضابط ومعه أمين الشرطة الذى أقبل على ضابط أمن الدولة قائلاً: مساء الخير يا افندم معاى تمانية وعشرين من العناصر التخريبية.

— مساء النور ياحضرة الظابط، ماعنديش أى مكان أقدر استلم فيه معتقلين جداد، كومبليت، (وهو يضحك) ارجع بيهم على قسم إمبابة.

صعد الضابط إلى الشاحنة ووجه الأمر للسائق بأن يتجه لقسم إمبابة، وما إن سمع المعتقلون حتى صاحوا:

حرام عليكم، احنا ماعملناش حاجة، هيودونا المفرمة، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ظل (ليزا) صامتاً، يسمع ويرى ويراقب مايحدث، وكأنه سقط من فوق أعلى نقطة فى الكون فى بحر الدهشة، العساكر يفتحون الباب الخلفى للقسم، ضابط الحراسة يفتح باب الشاحنة، جنود الأمن المركزى يستعدون لحفل الاستقبال، يمر المعتقلون فى ممر ضيق بين الجنود على الصفين، فيبدأ الجنود فى ضرب المعتقلين بغل، الكل يأخذ نصيبه من الضربات بالشوم والهراوات.

(ليـزا) يحـاول أن يدافـع عن نفسـه، الجنـود يعتـبرون مافعله إهانـة لهـم فينهالـون عليـه ضربا تاركـين باقـى المعتقلين.

ألقـى المعتقلـون فـى زنزانـة واحـدة ضيقـة، حوائطهـا وأرضها مـن الخرسـانة المسـلحة، ولا توجـد فيهـا تهويـة مناسـبة، (ليزا) ملقى على الأرض ينزف من أنفه وفمه، وملابسـه ملطخة بالدماء.

— ألف سلامة ياصاحبى، ألف سلامة يا أخوى

سمعها ليزا فالتفت فى اتجاه الصوت.

— أنا أشرف سعد.

ليـزا يحـاول أن يفتـح عينيـه المتورمتـين لـيرى أشـرف قائلاً:

— وفين قيادة ؟

— معـاى طبعـا، هـيروح فـين ؟ اشمعنـى انـت اللـى افـتروا عليـك كـدا ياصاحبـى، أنـا مافيـش حـد لمسـنى.

— أمال مين اللى اتضرب على قفاه واحنا داخلين ؟

يرد أشرف وهو يجز على أسنانه غيظا:

— ضـرب الحكومـة مـش عيـب ياغشـيم، هـو اللـى يقـاوح معاهـم (ينظـر لليـزا) يسـلم مـن أذاهـم، بـلاش تـرد عليهم يا (ليـزا)، سايسـهم عشـان يخرجونـا مـن هنا، أنـا عرفت إنهم بيعتقلـوا السـنية، وأى حـد بيصلـى فـى جامـع الصحابـة أو الفرقـان، أو يعـرف الشـيخ (جابـر)، لكـن اللـى زينـا بـيروح

بيتــه، إن شــاء الله نخــرج مــن المصيبــة دى علــى خــير.

يدخل أحد الجنود وهو ينادى: أشرف سعد.

— أفندم ياباشا.

— تعالى يا أشرف حضرة الظابط عاوزك .

يخـرج أشـرف مـع العسـكرى، يصعـد السـلم ليصـل إلى الـدور الثانـى – مقـر أمـن الدولـة فـى قسـم إمبابـة – يدخـل الغرفـة فيجـد عـدداً كبـيراً مـن الضبـاط والعسـاكر ينتظرونـه، وآثـار دمـاء علـى الأرض، وسلاسـل حديديـة معلقـة فـى سـقف الغرفـة معـدة لتعليـق المتهمـين، الرعـب يسـيطر علـى أشـرف، يريـد أن يبكـى، لكنـه خائـف أن يغضـب بـكاؤه الضبـاط أو يتكلـم فيزعجهـم كلامـه.

— إيه حكايتك يا أشرف؟

قالها أحدهم وهو ينهر أشرف.

يجيبـه أشـرف وشـفتاه ترتعشـان: والله ياباشـاوات أنـا آخـر واحـد فـى الدنيـا، ينفـع ييجـى هنـا، أنـا عمـرى ماصليـت، ولا أعـرف الألـف مـن كـوز الـدرة، حتـى الفاتحـة مـش حافظهـا.

— احنا عارفين يا أشرف ... انت زى الفل.

— الحمد لله.

– عاوزينك تساعدنا يا أشرف فى جمع المعلومات عن العيال دول، اللى كل هدفهم إنهم يدمروا البلد.

يبدأ أشرف فى محادثة نفسه: عاوزنى أبقى مرشد ؟! ومالـه ؟! بس أخرج من هنا.

ثم يرفع صوته: كلنا فدا البلد ياباشاوات بس عاوز أعرف إيه المطلوب بالظبط.

– معلومات.

– عن مين ؟

– أنا هاسيبك تروح، لكن لازم تفتح عينيك كويس، وتبلغنى بكل صغيرة وكبيرة عن العيال دول.

– السنية ياباشا؟! أنا كدا فهمت ... أروح بقى ؟

– روح.

وما إن وصل أشرف إلى الباب حتى وقف وتسمر فى مكانه .

– فيه حاجة؟

– معايا اتنين زمايلى زيى بالظبط، مالهمش فى الطور ولا فى الطحين، وممكن يشتغلوا معايا فى جمع المعلومات .

– ليزا وقيادة؟

أشرف: حضرتك عارفهم؟!

– طبعا عارفهم كويس، هما كمان هيروحوا، احنا بنحافظ على البلد، وما بنظلمش حد.

– واحنا مالنا، بلدكم وانتوا حرين فيها.

(تمتم أشرف محدثاً نفسه)

فى هذا الوقت كان قيادة يحاول تطهير جراح (ليزا) المنتشرة فى وجهه، وأحد الشباب الملتحين يعطى قيادة منديلاً قائلاً:

– اغسل وشه بشوية مية، على فكرة كلها جروح سطحية، بسيطة إن شاء الله، علينا أن نتحمل ظلم الطغاة مرضاة لوجه الله، وإعلاء لكلمته.

قيادة: خد ياعم المنديل بتاعك، ماتوديناش فى داهية.

ليزا: شكرا يامولانا، ألف شكر، معلش (أحمد) بيحب يضحك.

الملتحى: شفاك الله وعافاك يا أخ ليزا.

ليزا: واسم الكريم إيه؟

– خالد.

– فرصة سعيدة ياشيخ خالد، هما الجماعة دول بيعملوا معاكم كدا ليه؟!

— دا ابتلاء من ربنا.

— يعنى إيه؟

— امتحـان، ربنـا بيمتحـن عبـاده المؤمنـين، عشـان يعـرف مـين اللـى إيمانـه حقيقـى ومـين اللـى إيمانـه مزيـف.

— طب وهو ربنا مش عارف كل حاجة أصلاً؟!

— طبعا عارف كل شئ، ومقدر كل شئ.

— يعنى ربنا هو اللى بيخلينا نعمل كل اللى احنا بنعمله؟

— أيوة يا (ليزا)، ربنا قادر على منعنا من أى فعل.

— يعنـى احنـا مجبريـن علـى تنفيـذ المكتـوب علينـا غصبـاً عننـا، ومالنـاش أى دور، وربنـا هـو اللـى بيتحكـم فـى تصرفاتنـا.

— صحيح.

— طـب ليـه بيحاسـبنا علـى حاجـات هـو اللـى كاتبهـا علينـا؟!

— بـص يـا (ليـزا)، ربنـا رحيـم بعبـاده، ومابيظلمش حـد، قوم واتوضـا وصلـى معانـا، وربنا هيفك ضيقتنا جميعا، ماتشـغلش نفسـك بأمـور غيبية، أهم حاجة تصلـى وتدعو الناس للصلاة.

الشـيخ خالـد يطـوف بالمعتقلـين، صـلاة المغـرب، صـلاة

المغـرب. كل المعتقلـين يصلـون خلـف الشـيخ خالـد، وفـور انتهـاء الصـلاة يقـف خالـد قائـلاً:

- الصـلاة يـا إخوتـى أهـم علاقـة بـين العبـد وربـه، وعلينـا جميعـا أن نصلـى، وندعـو كل مـن حولنـا لأداء الصـلاة فـى موعدهـا، ولا تشـغلوا أنفسـكم بـأى شـئ آخـر.

معتقـل سـلفى: إزاى يـا أخ خالـد نهتـم بالصـلاة فقـط ونـترك الفسـاد والظلـم، فريضـة الجهـاد هـى الأولى فـى هـذا الزمـان.

خالد: أخى الكريم، ما اسمك ؟

- (أبـو إسـحاق)، أنـا عـارف يـا أخ خالـد إنـك مـن جماعـة التبليـغ والدعـوة، ربنـا يهديكـم.

- اللهم اجعلنا من المهتدين.

- هـذه الجماعـة أتـت ببـدع كثـيرة، وقائمـة فـى أساسـها علـى بدعـة الخـروج فـى سـبيل الله .

- بدعـة أيـه يـا (أبـو إسـحاق)، أول مـن خـرج فـى سـبيل الله هـو رسـولنا الحبيـب صلـى الله عليـه وسـلم وأصحابـة الأبـرار الأطهـار.

- تحديـد أيـام الخـروج بثلاثـة أيـام فـى الشـهر وأربعـين يومـا فـى السـنة بدعـة، وأن يكـون الخـروج هـو الأسـاس والأصـل الـذى يبنـى عليـه الجماعـة بدعـة، وبعديـن يـا

أخ خالد إزاى تقارن بين أصحابك الجهلاء، ومعظمهم لايملكون من العلم الشرعى شيئاً، بل وفيهم من لايقرأ ولا يكتب، وبين أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، العلماء الذين كانوا ينشرون الدين بما علمهم وأدبهم به الرسول صلى الله عليه وسلم.

- فى هذا الزمن يا أخى الحبيب ترك الناس المساجد وهجروها، ويكفينا أن نرجعهم إليها بأى وسيلة، وهذا فى حد ذاته عمل يرضى الله ورسوله.

- البدع لا ترضى الله ورسوله يا أخ خالد، لا بد من اتباع صحيح السنة، النجاة كل النجاة فى اتباع سنة النبى وليس اتباع البدع، عليكم أن تنهلوا من بحور العلم الصحيح، ولا تسندوا أمر الدعوة إلا للعلماء فقط، أنا عندما أذهب إلى المسجد وأعطى درساً فى التفسير ألا يكون ذلك خروجا فى سبيل الله؟!، عليكم بالعلم أولاً والبعد عن البدع والخرافات.

- خرافات ؟!

- نعم خرافات يا أخ خالد، ألا تعرف أن أتباع جماعتكم فى الهند يدعون أن الرسول صلى الله عليه وسلم مازال حياً، وأنه يظهر للناس فى الأسواق والمقاهى، ويدعوهم للصلاة فى المساجد، أليست هذه خرافة ؟! والخروج أربعين يوماً فى السنة، وثلاثة أيام فى الشهر، أليس

تحديد هذه المدد بدعة ما أنزل الله بها من سلطان؟!

يدخل العسكرى منادياً:

— أحمد قيادة و محمد ليزا.

— خير ياباشا ؟

— هتروحوا .

— الحمد لله، ياترى انتِ عاملة إيه دى الوقت يا أمل ؟

وصل (ليزا) إلى بيته، أمل تفتح الباب لزوجها قائلة:

— كنت فين ياحبيبى ؟ (وهى تبكى) دا أنا دورت عليك فى كل حتة، فى قسم إمبابة قالوا لى مافيش حد بالاسم دا، وفى أمن الدولة نفس الرد، ولما أكدوا لى إن أنت مش موجود عندهم، بدأت أدور فى المستشفيات كلها، بقالى أربع أيام بالف على رجلى.

يحتضنها (ليزا) فى مزيج من الحنان والأسى:

— ماعليهش ريحتى من المعتقل.

— مسك وعنبر ياحبيبى ولا يهمك، يعنى انت كنت عندهم؟! حسبى الله ونعم الوكيل، أمال اللى عمال يحلف إن انت مش موجود.

— فين؟

- فى قسم إمبابة، أمين شرطة خد خمسين جنيه وجاب لى دفتر فيه أسامى كل المقبوض عليهم، واللى فى الحجز، وقال لى والله هى دى كل الأسامى، ومدام اسمه مش مكتوب يبقى دورى عليه فى حتة تانية، مابقاش قدامى غير المستشفيات، تعبت قوى يا (ليزا) (وهى تبكى).

- عمر الشقى بقى.

حالا هاحضر لك العشا، تلاقيك ميت من الجوع ياحبيبى (قالتها أمل وهى مسرعة فى اتجاه المطبخ) عقبال ماتاخد حمام يكون الأكل جاهز.

دخل (ليزا) وأخذ حماماً ساخناً ثم جلس على السرير، ماهى إلا لحظات حتى غرق فى بحر النوم العميق.

حاولت (أمل) أن توقظه قائلة:

- كل لقمة صغيرة، ونام براحتك.

لكن هيهات، مرارة الرحلة وتعب الأيام الصعبة حلا على (ليزا) فنام كأنه مغشى عليه.

الشيخ خالد

حين أنهى دراسته فى كلية الآداب، محتلاً الترتيب الأول على الدفعة كعادته، كانت صدمته الأولى، فقد رفضت إدارة الجامعة تعيينه معيدا، رغم أن قسم التاريخ فى الجامعة لم ير طالباً بمثل هذا التفوق والإخلاص.

لم يحصل خالد على حقه فى التعيين، بينما أخذ الوظيفة ابن أحد أساتذة الجامعة ينتمى للحزب الحاكم.

لم يغضب خالد عندما أخبروه بأنه رفض لدواع أمنية، وقابل نصيحة رئيس القسم – بأن يحلق لحيتهً ويتقدم بطلب مرة أخرى – بالرفض، وصبر واحتسب، وقبل أن يكون مدرساً للتاريخ بمدرسة السادات الإعدادية بالصحفيين، مردداً: «قدر الله وما شاء فعل... أكيد ربنا له حكمة وعاوزنى أكمل رسالتى، المدرسة قريبة من بيتى فى إمبابة، وقريبة من مسجد أنس، ومن الشيخ (إبراهيم عزت)، الحمدلله الذى اختار لى أن اكون مع من أحب.

بدأ خالد فى نشر مبادئ التبليغ والدعوة فى المدرسة، وبدأ بتعليم الأولاد أهمية احترام العلماء، وتقبيل أيديهم، فانعكس هذا على سلوك الطلبة فى احترام المدرسين مما جعل الجميع، خاصة إدارة المدرسة، تحبه وتقدره، وبدأ زملاؤه الذين يشعرون بتأثيره الإيجابى على التلاميذ يضعونه فى منزلة كبيرة، وصاروا يسألونه فى كل شئ يخص دينهم ودنياهم، وهو لا يتأخر أبدا.

أصبح مسجد المدرسة والمكتبة مركزين هامين للتبليغ والدعوة فى المدرسة، وزاد النشاط فى أول إجازة دراسية، حيث سمحت إدارة المدرسة باستقبال شباب المنطقة، طلاب المدرسة الراغبين فى حفظ القرآن الكريم .

الشيخ خالد يرى أن الظروف التى تمر بها مصر هى نفس الظروف التى مرت بها الهند وقامت جماعة التبليغ والدعوة لمواجهتها والتصدى لها، فالناس هجرت المساجد وعمرت المقاهى والملاهى، ووجب على عباد الله الملتزمين بعبادته أن يذكروهم ويحرضوهم على العودة إلى تعمير المساجد، فمشكلة مصر هى البعد عن طاعة الله، وعدم إقامة شعائر دينه الحنيف، فلو صلى الناس فى جماعة، وحفظوا ماتيسر من القرآن، وشغلوا أوقات فراغهم بدعوة أناس آخرين لتم القضاء على الفساد، ولصلح أمر العباد، وهذا اليقين قد اكتسبه من تردده على معلمه الشيخ (إبراهيم عزت)، ومن الخروج فى سبيل الله مع جماعة التبليغ والدعوة.

كل شئ كان على مايرام، حتى ظهرت مشكلة الشيخ (جابر) الذى خسرت الدعوة كل شئ بسببها، أغلقت المساجد ونفى الشيخ (إبراهيم)، وحددت إقامة الشيخ عبدالمنعم، وحسب الجميع على الحركة الإسلامية، وكأنها شئ واحد، الكل له شكل واحد، وهو (جابر) الذى يريد إحداث الفوضى والفتنة وتقسيم الوطن.

لم يبق من التبليغ والدعوة إلا القليل، فمنهم من أمسك عليه لسانه والتزم بيته، ومنهم من أخذ بفتوى تبيح له حلق لحيته، ومنهم من أبقى عليها، والشباب يخافون من ارتداء الجلباب الأبيض، أو حتى الصلاة فى المساجد الكبيرة خشية القبض عليهم.

ليس أمام خالد إلا أن يبدأ من جديد هنا فى مدرسة السادات الإعدادية، يربى الأبناء على النظام، كل مجموعة من أربعة طلاب لها أمير، يدخلون الفصول بين الحصص، ويدعون الطلاب للصلاة، وكل المدرسين والإدارة تبارك هذا النشاط الذى يعلم الأولاد أن طاعة المدرس والناظر واحترامهم من صميم طاعة الله، ولابد من استغلال كل دقيقة فى الصلاة والدعوة حتى تكون المدرسة كلها ليس فيها تارك صلاة واحد.

خالد فى منزله فى شارع السد العالى – أعلى مسجد الصحابة الذى تم اغلاقه – يحدث نفسه: «إن شاء الله الطلبة دول لما يكبروا هيبقوا قوة للجماعة وبداية جديدة،

انـت هتكـدب علـى نفسـك، ليـه مـش عـاوز تعـترف إن كل شئ راح، وانـت قاعـد هنـا إيـدك علـى خـدك». ينتفـض خالـد قائـلا: أسـتغفر الله العظيـم.

قـام خالـد وتوضـأ، وصلـى صـلاة اسـتخارة طالبـاً مـن الله أن يرشـده، هـل يبـدأ مـن جديـد، ويـترك كل منجـزات الجماعـة، أم يحـاول إنقـاذ الجماعـة مـن التهـم الباطلـة، ويعيدهـا للحيـاة مـرة أخـرى بكوادرهـا المنتشـرة فـى جميـع ربـوع مصـر؟

مـا إن فـرغ خالـد مـن صلاتـه حتـى احتلـت صـورة (ليـزا) فكـره، وتذكـر دعـوة الرسـول عندمـا تعرضـت الدعـوة لمراحـل الضعـف الأولى، اللهـم أعـز الإسـلام بأحـد العمريـن، نعـم هـذا الشـاب الطيـب النشـأة (ليـزا)، شـجاع وقـوى وقيـادى، نعـم (ليـزا)، اللهـم أعـز الدعـوة ب (ليـزا)، نعـم سـيكون (ليـزا) مكسـباً كبـيراً للجماعـة، وسـيلتف النـاس حولـه وحـول الجماعة مـرة أخـرى، هـو حافـظ للقـرآن وصوتـه جميل،وشـخصيته قويـة، نعـم سـأتصل بـه كـى نجمـع معـاً شـتات الجماعـة.

ذهـب خالـد لسـور الصنايـع، وسـأل عـن (ليـزا) فأجابـه (حمـادة):

— عـم (ليـزا) بقالـه كتـير مـا جـاش القهـوة، اتفضـل ياشـيخ وانـا هـاروح انـده لـه.

ذهب (حمادة) بالفعل إلى بيت (ليزا) ودق جرس الباب:

– مساء الخير يا أبلة (أمل)، والنبى تخلى عم (ليزا) يكلم ناس عاوزينه على القهوة.

– ناس مين؟ حكومة؟

– لا لا، دا واحد شيخ وشه منور – اللهم صلى على النبى – وريحته حلوة.

– دقيقة واحدة.

ذهب (ليزا) لمقابلة الشيخ خالد:

– أهلاً يامولانا احنا زارنا النبى.

– عاوزك تشرفنى فى بيتى، أنا عازمك على الغدا.

– دا واجب علينا احنا.

وسار معه وهو فخور.

جلس خالد و(ليزا) حول الطعام، وأكلا معاً ثم قال خالد:

– أنا باحمد ربنا إنه عرفنى عليك يا (ليزا)، والله أنا باحبك فى الله، وعارف إن ربنا هينصر بيك الدعوة.

ليزا فى عجب ودهشة مما يسمع: دعوة إيه ياشيخ خالد؟

– الدعوة إلى الله

قالها خالد وهو يتفحص وجه (ليزا) ليرى رد فعله.

— أنا ؟! أنا أصغر بكتير من اللى حضرتك بتقوله.

— مش انت قلت لى إن والدك الله يرحمه كان عاوزك تبقى داعية كبير، وعلامة، تعلم الناس، ويبقى عندك طلبة علم حواليك فى كل مكان .

— أيوة، فعلا بس الكلام دا من عشرين سنة، وحفظت فعلا تلات أجزاء، ولكن وفاة أبوىَ غيرت مسار حياتى كلها، وانتهى كل شئ.

— لأ، مافيش حاجة انتهت، الدعوة محتاجة لكل واحد مننا، لو تعرف الشيخ (إبراهيم) تعب قد إيه، لو تعرف الشيخ (عبدالمنعم) ضحى قد إيه، وغيرهم آلاف.

— إيه اللى انت بتقوله دا ياشيخ خالد، دعوة إيه اللى محتاجة لى.

— التبليغ والدعوة، لجمع شتات الدعاة.

— هو احنا قد الحكومة.

— التبليغ والدعوة غير الشيخ (جابر) واللى عمله، احنا كنا ومازلنا رافضين كل اللى عمله (جابر) لأنه ضد مصلحة الإسلام وأضر بمصالح المسلمين، وعرضهم لفتنة كبيرة.

— يعنى مش عاوزين تحكموا البلد؟

— لا، لا، مالناش دعوة بالسياسة، يحكموا هما زى ما هما عاوزين.

— أمال إيه ؟

— الشيخ الكاندهلوى لما لقى الناس فى الهند هجرت المساجد وتركت شعائر الله ألف هذا الكتاب.

قالها خالد وهو يعطى (ليزا) كتاب (حياة الصحابة).

— فيه إيه الكتاب دا ؟

— أنا كل يوم هاقرا لك فيه، وهندرسه سوا.

— يعنى احنا مش ضد الحكومة ؟

— أيوة، كل اللى احنا عاوزينه إن الناس تترك المعاصى، وتؤدى الفرائض، خاصة الصلاة فى جماعة، هو دا يزعل الحكومة فى حاجة؟

— طبعا مايزعلش، بالعكس دا يقلل الجريمة ويساعد الحكومة.

— وأمن الدولة كانوا فاهمين، وعارفين الحقيقة دى، وبيتعاملوا معانا معاملة طيبة جدا، لكن (جابر) والفتنة اللى عملها، حسبى الله ونعم الوكيل، خلاهم قفلوا مساجدنا، وحرموا طلابنا من حفظ القران والخروج فى سبيل الله.

— اشمعنى أنا بالذات اللى اختارتنى ياشيخ خالد؟!

— ربنا هو اللى اختارك، معظم الشباب فى منطقتنا خافوا وبعدوا، وانت بالذات مع أنك كنت مش مننا كنت دايماً بتدافع عننا وتقول دول بتوع ربنا، إزاى تعاملوهم كدا؟

— قلبى كان بيتقطع لما باشوف شيخ أو عالم يتهان أو يتهزأ من الأوباش.

— ما شاء الله، قلبك سليم، ونشأت نشأة ربانية، الله يرحم والدك هو اللى أعدك للمهمة دى، وانت عندك خمس سنين، فاكر؟

— طبعا فاكر.

— بس أهم وصية أتمنى إنك تعملها إنك تقرا وتفهم الكتاب دا كويس جدا (يمسك فى يده كتاب حياة الصحابة)، هنقراه سوا، وندرسه دراسة وافية، عشان تعرف أنت مين، ورايح فين وعاوز إيه.

أمسك ليزا بالكتاب وقال: يعنى مصر دى الوقت بقى حالها زى حال الهند، الناس سابوا الدين والصلاة والمطلوب إنهم يرجعوا للجوامع ويصلوا فى جماعة.

— بالظبط كدا.

— لا فيه سياسة ولا حكم ولا عنف.

- تمام كدا، بص يا (ليزا)، كل إنسان فى الدنيا له دور، ودا دورك اللى ربنا اختارك له، عشان كدا لازم تذاكر الكتاب كويس جدا، وانا كل يوم هاستناك هنا نصلى العصر ونبدأ لحد ما ننتهى من دراسة الكتاب.

استمر (ليزا) فى التردد على الشيخ خالد الذى درس معه كتاب حياة الصحابة، واستمرا معاً حتى انتهى من الثلاثة أجزاء فى عام واحد، وكان يحفظ القرآن مع متابعة الدروس، حتى انتهى من حفظه أيضا فى ثمانية عشر شهراً بالتجويد والأحكام والتلاوة، ثم تقدم (ليزا) لنيل الإجازة فى حفظ القران والقراءات ونالها باقتدار من شيخ جليل مشهود له بالتدقيق وبأنه لايعطى الإجازة إلا من يستحقها .

ثم كانت اللحظة المشهودة التى جمعت بين خالد و(ليزا) ليقول خالد مهنئاً:

- مبروك ياشيخ محمد.
- ليزا.
- ياشيخ (محمد ليزا)، أنا أبايعك أميرا لجماعة التبليغ والدعوة فى إمبابة، المهمة شاقة، وأنت جدير بها، بارك الله فيك، دى الوقت لازم تعرف إن حلم والدك اتحقق، وأملنا فيك كبير .
- على بركة الله.

الطريق

أمل تملأ الشقة حياة، تعد الطعام لزوجها الحبيب الذى طالما حلمت بقربه، روائح الطعام تعلن للجيران أن ليزا لم يعد وحيداً، قد أصبح له بيت وزوجة، عائلة تدفع عنه طوفان الوحدة الذى حمله عشرين عاماً.

الراديو على إذاعة القران الكريم، الشيخ يرتل بصوت جميل، أمل مازالت فى المطبخ، ومن هناك يأتى صوتها:

الله يا (ليزا) دا المنشاوى، علِّيه شوية.

ليزا لا يرد، أمل تخرج للصالة:

— الله أكبر، الله أكبر، ماشاء الله هو انت ياحبيبى؟!

ليزا: صدق الله العظيم.

— صوتك جميل، عمرى ماسمعت صوت أجمل منه.

— الحمدلله .

— امتى وفين ؟! وليه ماحكيتليش؟ أول ما شفتك بتفتح مكتبة بابا محمود وتاخد منها المصحف حسيت براحة وسعادة.

- عشان انتِ طيبة، وأصلك طيب، بصى ياستى وأنا صغير كنت حافظ تلات أجزاء من القرآن (عم وتبارك وقد سمع)، حفظ وتلاوة وأحكام، وكنت باطلع فى الإذاعة فى برنامج الفوز العظيم .

قالت أمل وهى تنظر له بود، والدهشة تملأ وجهها والسعادة ترقص فى عينيها:

- والله أنا كنت متأكدة إنك إنسان عظيم، وفيك حاجة لله، عشان كدا صاحبت الشيخ خالد وبتروح تقعد معاه بالساعات.

- ربنا بعت لى الشيخ خالد فى الوقت المناسب، دى إرادة ربنا واحنا مالناش أى دور فيها.

- ونعم بالله .

- بابا كان جايب لى شيوخ من وانا عندى أربع سنين عشان أحفظ القرآن وأبقى داعية، وكان دايما بيحلم إنى معايا كور من نور باوزعها على الناس، ففسر الحلم دا بأنى هاكون عالم، وعمل المستحيل عشان يحقق الحلم دا، لكن مات وأنا فى أول الطريق .

- بس أسسك على الصح والضمير والدين.

- وبعد عشرين سنة قابلت الشيخ خالد، وكملت المسيرة، انتِ عارفه احنا بنعمل إيه عند الشيخ خالد كل يوم؟

- انت عارف أنا عمرى ماسألتك انت رايح فين أو بتعمل إيه عشان عارفة انك بتضايق.

- باحفظ القرآن وباذاكر فى كتاب (حياة الصحابة).

- ما شاء الله .

- مش قادر أفهم إيه اللى بيحصل فى حياتى، وليه باعمل كل دا من غير ما اكون عاوز أعمله، ودايماً بابقى ندمان على كل حاجة غلط عملتها فى حياتى، أنا مش راضى عن كل حاجة عملتها فى حياتى قبل ما أعرف طريق الحق.

سألته أمل فى دلال: مش راضى عن كل حاجة؟!

- انتِ قدم النور، دخلتِ حياتى وكل شئ اتغير.

- بس أنا عاوزه أفهم إيه اللى حصل، وإيه التغيير المفاجئ دا؟

- الشيخ خالد، قدر يطلع الخير اللى موجود جوايا، لما كنا فى الحجز دار بينا كلام غريب قوى

(ثم يبدأ فى قص ما حدث له مع الشيخ خالد)

ليزا: ألا قل لى يا مولانا ليه ربنا بيخلينا نعمل الشر مع إننا بنحب الخير؟!

خالد: استغفر ربك يا أخ (محمد).

— قل لى يا (ليزا).

— استغفر ربك يا (ليزا)، معاك مصحف ؟، أقول لك خد المصحف دا وتعالى نقرا وندعى ربنا يفك كربنا، ما تقلقش أنا عارف إنك أول مرة هتقرا، أقولك اقرا ورايا.

— ليه بتقول كدا ؟! دا انا حافظ تلات أجزاء، قصدى كنت حافظ من وأنا عندى خمس سنين.

— ماشاء الله، طب سمعنى.

يقرأ (ليزا) القرآن بصوت عذب، لدرجة أن من يغمض عينيه يشعر بأنه أمام صوت الشيخ «محمد صديق المنشاوى»، فيبدأ كل المعتقلين فى الالتفاف حول (ليزا) ليسمعوا هذا الصوت الملائكى، حتى إذا ما انتهى من التلاوة احتضنه الشيخ خالد قائلاً: ما شاء الله ما شاء الله .

فرح (ليزا) بإعجاب المعتقلين به.

سأل (ليزا) (الشيخ خالد): يعنى أنا ممكن حياتى تتغير؟

— هى اتغيرت فعلاً ياليزا، ربنا جابك هنا عشان تبدأ حياة جديدة.

— إزاى؟!

— انت حاسس إنك مهم وكبير، والكبير لازم يعمل حاجات كبيرة، عشان كدا كنت بتستعمل قوتك فى

حمايـة جيرانـك وأصحابـك، بـس فيـه حاجـة أكـبر مـن كـدا تقـدر تعملهـا.

— إيه هى؟

— إنـك تحفَّـظ أولاد المسـلمين القـرآن وتعلمهـم وتدربهـم إزاى يبقـى صوتهـم جميـل زيـك.

— واللى فات ؟

— لـو انـت فـى لجنـة الامتحـان واكتشـفت انـك بقـى لـك سـاعة بتحـل غلـط، تحـل صـح السـاعتين الباقيـين ولا تسـيب الورقـة بالغلـط اللـى فيهـا؟

— أحل صح طبعا.

— التوبـة تَجُـبُّ ماقبلهـا والتائـب مـن الذنـب كمـن لا ذنب له.

يبـدأ (ليـزا) فـى البـكاء وخالـد يطمئنـه: حمـدا للّه علـى السـلامة يـا (ليـزا).

يفيـق (ليـزا) مـن رحلتـه مـع الذكريـات القريبـة علـى قبلـة مـن زوجتـه (أمـل) التـى تضمـه قائلـة:

— النهـار دا أسـعد يـوم فـى حياتـى، واللّه دى شـغلانة حلـوة قـوى ياحبيبـى، وأنـا طـول عمـرى باقـول أنـا هاتجـوز مـدرس، أنـا هاجيـب لـك أولاد الجـيران كلهـم، ومـش هندقـق مـع حـد، كل واحـد علـى قـده، حتـى لـو مـن

غـير فلـوس، وأنـا هاكـون أول تلميـذة، حفظنـى وعلمنـى ياحبيبـى، نفسـى أتعلـم كل شـئ منـك، يـا أجمـل هديـة مـن ربنـا، باحبـك ياشـيخ (محمـد).

— (ليزا).

وينخرطان معاً فى حالة من الضحك الجميل.

الأمير

رأى خالد فى (محمد ليزا) أملاً جديداً يمكن به لم شتات جماعة التبليغ والدعوة وإحياؤها من جديد، بينما يرى (ليزا) أنه أصغر من هذه المهمة العظيمة، ولكن شيئاً ما داخله يجعله سعيداً وفخوراً بنفسه، فالشيخ خالد له نظرة ومن المؤكد أن اختياره فى محله.

بدأ الشيخ خالد يكثف من اجتماعاته مع (ليزا) فى منزله الذى تحول إلى واحة نور وقرآن وعلم.

— لازم نستفيد من أخطاء الآخرين.

قالها خالد لليزا وكأنه يعده للقيادة.

— إزاى ؟

— اللى عمله (جابر) وأصحابه مش جهاد يا (ليزا) ولا يرضى ربنا، دى فتنة ضربت الدعوة فى مقتل، وأذت الدعاة الربانيين اللى عمرهم ما اهتموا بالسياسة.

— الناس كانوا عاوزين يطبقوا شرع ربنا.

- شرع ربنا هيتطبق لما شعائر الدين تتطبق، وكل الناس تبقى حريصة على الصلاة جماعة فى المساجد.

- يعنى احنا نقعد نصلى ونسيب الحكام يعتقلوا المشايخ ؟!

- كل اللى حصل دا من آثار الفتنة اللى عملها جابر واللى معاه، على فكرة أنا سمعت الشيخ (إبراهيم عزت) بودنى وهو بيقول: اللهم ارحم الإسلام والمسلمين من جابر وأعوانه، وكان يدعو لهم بالهداية.

- يعنى احنا لما نحفظ القرآن، هما هيبطلوا يعذبوا الناس فى المعتقلات، لازم ننتقم منهم وناخد حق المظلومين اللى بيتعذبوا وبيموتوا كل يوم من غير ماحد يحس بيهم.

- بناء الدولة الإسلامية لازم يكون على أساس قوى، والأساس دا هو بناء الفرد المسلم بناءً صحيحاً، وهو دا دورنا،احنا عاوزين نحفظ القرآن، ونحفظه لأولادنا، ونقيم شعائر الله، نصلى ونمكن الناس من الصلاة فى كل المساجد، ونطمن الأمن عشان يفتحوا لنا المساجد اللى قفلوها، ونشرح لهم فكرنا، لازم يفهموا من تانى إن احنا غير التانيين اللى عاوزين السلطة وبيسعوا للحكم، احنا عاوزينهم هما يحكموا زى ماهم عايزين، بس يسيبونا نعبد ربنا ونصلى ونعمر مساجد الله.

- يعنى احنا مش ضد الحكومة؟

- أيـوه وندعـو لهـا بالهداية، وضـد كل مافعله جابـر وأصحابه.

- هما ليه بيقبضوا على الناس دى كلها؟!

- أغلـب بتـوع الأمن جُهلة، ومـش عارفين ولا قادرين يفرقوا بينا وبـين غيرنا، وإخواننـا ضرونا باللى عملـوه، والله يا (ليزا) لولا (جابـر) وحركتـه الغبيـة لخرجـت النـاس فـى شـوارع مصـر كلهـا فـى ثـورة عارمة تطالـب بإقامة شـرع الله، أداء الشـعائر التـى أمـر بهـا الله هـو الطريـق الوحيـد لتطبيـق شـريعة الله.

- أنا مش فاهم حاجة .

- المهم إنك تكون عاوز ترضى ربك.

- طبعـا، أنـا بدأت فعلا، وعندى تـلات أولاد باحفظهم القرآن.

- وانـا هابعـت زوجتـى (عائشـة) تسـاعد زوجتـك فـى الاتصال بالسـيدات والبنـات اللـى عاوزيـن يعرفـوا دينهـم ويحفظـوا القـرآن، وهنبـدأ فـوراً بـدروس الحجـاب .

ليزا: على بركة الله.

أمن الدولة

اختبأت الفرحة وراء (البشل) المنتشرة فى وجه أشرف، فلا تبدو عليه السعادة، مع أنه قد ولد تواً من جديد، فالداخل إلى معتقلات أمن الدولة مفقود، والخارج منها مولود.

— «الحمدللّه».

قالها أشرف محدثاً نفسه.

— بس ياترى أنا هاقدر أقوم بالمهمة دى، أجيب لهم المعلومات المطلوبة دى منين ؟! وإزاى، خلاص يا أشرف هتشتغل مرشد معفن زى العيال السكة اللى كنت بتتريق عليهم، ماكنتش أتصور أبدا إن دا ممكن يحصل فى يوم من الأيام، ومرشد لمين ؟ للعميد (سيف) بتاع أمن الدولة، إذا قصرت مش هيرحمنى، وإذا أخلصت الجماعات السلفية مش هترحمنى، وأكيد هينتقموا منى، كل واحد هارشد عنه ويدخل السجن بسببى هيكون فيه تار بينى وبينه، وحياتى كلها هتبقى مرهونة بيوم

مايعرف إن أنا اللى أرشدت عنه، بس أنا أقدر أعمل إيه يعنى ؟! هو أنا أقدر أرفض ولا أفتح بقى ؟! هو أنا كنت متعشم إنى أشوف الأسفلت تانى، المشكلة دى الوقت إنى فعلا مش عارف أقوم بالمهمة دى، طبعا مش هاعرف، إزاى أعرف أرشد عن ناس أنا ما أعرفهمش، ومش ممكن نتعرف أصلا، ماينفعش نبقى أصحاب أو حتى معارف، انا ممكن أرشد عن تاجر مخدرات أشترى منه وأسلمه، أو تاجر سلاح أو حرامى جاى لى بمسروقات أصرفها له أو نصاب أو مزور قاعد على القهوة بيكلم زبون، ممكن أسمعه وأبلغ عنه، لكن الشيوخ (ورفع صوته بعد أن كان يحدث نفسه سرا) أنا أجيبهم منين ؟ شيوخ طب هو أنا وش شيوخ برضه يا (سيف) بيه؟ أجيبهم منين ؟ وأعرفهم إزاى؟! وأخليهم ازاى يثقوا فىّ ويتكلموا قدامى، مش عارف أعمل إيه، كدا يبقى أنا وقعت مع العميد (سيف)، أكيد هيفكر إنى مش عاوز أتعاون، وهيحطنى فى دماغه ويضيعنى .

انتقل أشرف سعد و(أحمد قيادة) إلى سكن جديد بعد زواج ليزا، غرفة وصالة فى سطوح منزل بشارع القدس فى عمارة البواب أرشدهما إليها (حمادة) القهوجى الذى رفض أن يأخذ سمسرة.

عـاد الصديقـان سـيرتهما الأولى، فقـد كانـا يعيشـا بمفردهمـا قبـل أن يتعرفـا علـى (ليـزا)، ويسـكنا معـه فـى منزلـه، و(ليـزا) قـد تـزوج، ليـس هـذا فقـط، ولكنهمـا شـعرا بـأن (ليـزا) لم يعـد يشـبههما أبـداً، ومـن غـير المعقـول أن تسـتمر صداقتهـم لأنـه أصبـح إنسـاناً جديـداً.

تساءل أشرف سعد محدثاً (أحمد قيادة) :

— انت مصدق موضوع (ليزا) دا؟

— التدين والمشيخة ؟! أه طبعا مصدقه.

— فجـأة كـدا، بـدون مقدمـات؟ إزاى يعنـى واحـد متصيـت وشـقى ومـالى الدنيـا يسـيب كل دا ويقعـد مـع العواجيـز فـى الجوامـع طـول النهـار؟

— إيـه اللـى انـت بتقولـه دا ؟! انـت شـيطان ؟! الراجـل ربنـا هـداه، ورزقـه بواحـدة كان وشـها حلـو عليـه، جـت وجابت الهدايـة معاهـا، وخلـى بالـك انـت عمـرك مافهمـت (ليزا)، (ليـزا) فيـه حاجـة للّه مـن سـاعة ماعرفتـه وهـو بيحـب المشـايخ دول، ومابيسـمحش لحـد يهينهم، وعمـرى ماسمعته مـرة بيسـب الديـن زيـك علـى الفاضـى وعلـى المليـان.

— دا فيلـم كبـير ومصـالح مخـك الصغـير عمـره مايوصلهـا، العميـد (سـيف) فهمنـى كل حاجـة .

— مين (سيف) ده ؟

— دا عميد فى أمن الدولة واحنا بنشتغل معاه دى الوقت.

— احنا يعنى إيه ؟! أنت ومين ؟!

— أنـا وانـت هنجمـع المعلومـات، ونكسـبه عشـان يسـاعدنا فـى كل حاجـة، ونبقـى رجالتـه، أمـال انـت فاكـر احنـا طلعنـا مـن المعتقـل إزاى؟؟!

— انـت اللـى مـش فاهـم حاجـة، دا عـاوزك ترشـد عـن (ليـزا)، عـاوزك تبيـع صاحبـك يـا مفتـح.

— ياابنـى (ليـزا) بيعمـل مصلحـة كبـيرة، يـا يقسـم معانـا، يـا علـى وعلـى أعدائـى.

— مصلحة إيه بس اللى انت بتقول عليها ؟!

— (سـيف) بيـه فهمنـى ورسـانى علـى الـدور كلـه، فيـه دول عـاوزة تخـرب البلـد وبتبعـت فلـوس متلتلـة، دولارات يـاد، للجماعـات علشـان يخربـوا البلـد ويقضـوا عليهـا.

— والبلاد دى بتستفيد إيه ؟

— ياعبيـط الحـرب بتتكلـف فلـوس كتـير قـوى، طيـارات ودبابـات وصواريـخ وقنابـل، ونـاس مـن عندهـم يحاربـوا ويموتـوا، لكـن كـدا بيوصلـوا لغرضهـم بأقـل التكاليـف.

— ياسلام ! ، أشرف سعد بيتكلم فى السياسة !

— انت معايا ولا لأ ؟

— (أحمد قيادة) مش ممكن يغدر باصحابه اللى كل معاهم عيش وملح.

نظر أشرف إليه مهدداً : قصدك إيه؟

— طبعا معاك ياصاحبى، بس لازم توعدنى إن احنا مالناش دعوة ب(ليزا)، دا أخونا ياجدع، لازم تفهم إن أنا لو قبلت أغدر بليزا ممكن أقبل أغدر بيك لأن انت و(ليزا) اخواتى .

سكت أشرف سعد وهز راسه وكأنه اقتنع بما قاله قيادة، ثم قال:

— عموما احنا هنقابل (ليزا)، ونعرف ميته، يمكن نشتغل معاه فى المصلحة الدولية اللى هو فيها دى وطظ فى العميد (سيف).

وبالفعل اتجه أشرف وقيادة إلى منزل (ليزا)، رن أشرف الجرس، ففتحت (أمل) الباب قائلة :

— أهلا وسهلا .

شعر أشرف وقيادة بأن البيت قد تغير، وأن (أمل) تغيرت، وكأنهما يأتيان إلى هذا المكان لأول مرة، بل شعرا بأنهما إضافة شاذة لشقة يسكنها عباد مؤمنون، فهذا هو صوت محمد صديق المنشاوى يجلجل بالقرآن، وهذه هى رائحة المسك تفوح من كل مكان.

أقبل ليزا مرحبا:

— أهلا يارجالة (وهو يقبل أشرف وقيادة.

— أشرف: حمدلله على السلامة ياصاحبى .

— قيادة: كفارة يامولانا .

— ليزا: الحمدلله، قدر الله وما شاء فعل .

أخذ قيادة و أشرف ينظران لبعضهما فى دهشة، لقد تغير أسلوب (ليزا) فى الكلام، وصار حديثه مثل حديث المشايخ، لقد أصبح وجهه مضيئاً والبسمة لا تفارقه.

— أشرف: كنت عاوزك فى كلمتين ياشيخ.

قال (ليزا) وهو يدخل بهما غرفة الضيوف :

— اتفضلوا.

— أشرف: طبعا انت عارف إن أنا اللى طلعتكم من المصيبة دى .

— ألف شكر ياحبيبى، جزاك الله خيرا، طول عمرك شهم.

— احنا من ساعة الحبسة السودا دى وحالتنا زى الزفت ولازم تشغلنا معاك.

— تشتغلوا معايا؟! مش فاهم... تشتغلوا معايا فى إيه؟

فى المصلحة.

— مصلحة أيه ؟

— التمويل الأجنبى والدولارات.

— أنا مش فاهم حاجة، لا حول ولا قوة إلا بالله .

— انت طلعت طيب ياصاحبى، الناس دول بيشتغلوك، دول عصابات دولية عاوزين يدمروا مصر، وبيدفعوا فلوس كتير قوى، شكلك كدا بتشتغل مجانا، والناس اللى معاك هما اللى بياخدوا الفلوس كلها.

ضحك ليزا ساخراً مما يسمع : مين فهمك الكلام ده ؟!

أشرف: ناس كبار قوى فى البلد.

— ليزا: ياراجل ياطيب، تشربوا إيه ؟ أجيب شاى ولا نتغدى الأول؟

— أشرف: انت بتتريق علينا يامولانا ولا إيه؟

— قيادة : لا يا أشرف (ليزا) مايقصدش، وانت عارف (ليزا) طول عمره حقانى، لو فيه مصلحة عمره مايخبى علينا.

— ليزا: فعلا فيه مصلحة كبيرة، أكبر من الفلوس.

— قيادة: إيه هى ؟

— ليزا: أنا لقيت دورى الحقيقى اللى لازم أعيش عشانه.

— أشرف ساخراً: إيه الفيلم الأبيض واسود اللى وقعتنا

فيـه دا ياعـم الشـيخ؟!

— ليزا: الدعوة إلى الله ورسوله.

بهـت أشـرف مـن الكلمـات الواضحـة واللهجـة الواثقـة التـى يتكلـم بهـا (ليـزا) فصمـت فجـأة.

تسـاءل قيـادة بانبهـار: هتسـافر بره تنشـر الإسـلام يـا (ليزا)؟

— ليزا : دى مرحلة تانية، لكن احنا دى الوقت فى المرحلة الأولى.

تدخل أشرف فى الحوار مجدداً:

— وإيه هى المرحلة الأولى يامولانا ؟

ليـزا: دعـوة المسـلمين اللـى حولينـا للصـلاة والعـودة إلى بيـوت الله وحفـظ القـرآن الكريـم.

نادى أشرف على قيادة قائلا :

— يـلا بينـا يـا قيـادة .... (ليـزا) بايـن عليـه مخـه اتلحـس واتـدروش .

ليزا وهو يضحك : ربنا يهديك يا أشرف .

— قيادة : خلى بالك من نفسك ياليزا .

خرج (أحمد قيادة و(أشرف سعد) وتركا (ليزا) .

أشرف : سلام يامولانا.

بعد أن خرجا من عند (ليزا) قال قيادة:

— ماتيجى نشرب الشاى على قهوة (وزة).

فبادره أشرف: انت ملاحظ إن (أمل) ما عملتش شاى ولا أى حاجة، ولا حتى قالت اتفضلوا، وسابتنا ودخلت جوه.

— انت عاوز تعمل موضوع وخلاص، ماهى قالت اتفضلوا أول ما دخلنا، بس هى بقت متدينة، واحنا نعتبر أغراب عنها.

— ازاى دى مرات صاحبنا وأخونا؟!

— عندك حق طبعا، بس السنية عندهم كدا.

نادى أشرف على (حمادة) القهوجى : هات لنا اتنين شاى.

— حاضر

قالها (حمادة) وهو يتجه داخل القهوة.

ذهب حمادة إلى المعلم (وزة) سائلاً: هو مش الشيخ (ليزا) ربنا هداه خلاص؟! أمال العيال الشمال دول جايين له تانى ليه ؟!

— خليك فى حالك .

— الشيخ (محمد ليزا) بقى حاجة تانية خالص، لو سمعته وهو بيصلى بينا العشا امبارح مش هتصدق،

صوتــه جميــل قــوى فــى القــرآن يامعلــم .

— ربنا يهديه ويحميه من البعدة .

أحضر حمادة الشاى ل أشرف وقيادة :

— اتفضلوا الشاى ياباشاوات.

بادره قيادة:

— تشكر ياذوق.

بعـد أن انصـرف (حمـادة) سـأل أشـرف صاحبـه قيـادة فـى حـيرة حقيقيـة :

— مـش قـادر أفهـم التغيـير ده كلـه حصـل إزاى، مـن الشـمال لليمـين مـرة واحـدة، مـش داخـل دماغـى الموضـوع دا.

— أصلك عمرك مافهمت (ليزا) .

— يعنى انت فاهما يا أبو العريف ؟

— عمـرك شـفت (ليـزا) بيشـتم، ولا بيضـرب راجـل كبـير، أو مـد إيـده علـى واحـدة سـت، أو سـب الديـن، أو افـترى علـى حـد ضعيـف، (ليـزا) دا بيفكرنـى بالفتـوات بتـوع زمـان، ماشـاء الله ربنـا مديلـه قـوة ماشـفتهاش علـى شـاب فـى مصـر، وعمـره مـا اسـتخدمها فـى أذيـة النـاس، أو البلطجـة عليهـم، (ليـزا) كبـير وبيحـب دايمـا يكـون كبـير، ولمـا بقـى مـع المشـايخ برضـه عملـوه الكبـير، وسمعـت إنهـم

عملوه أمير جماعة التبليغ والدعوة فى إمبابة.

تجددت حيرة أشرف وزادت أكثر فصمت وكأنه يبحث عن رد، بينما أكمل قيادة:

- بصراحة انا لو فى قوته، وحب الناس كلها له، كنت بقيت ملك مش أمير بس.

- يعنى هو كان شيخ ومتخفى وعامل نفسه بطل وفتوة ؟!

- (ليزا) فعلاً بطل، وكان بيدور على نفسه، ومش لاقى الطريق، فاكر لما جبنا البت ولاء فى الشقة ورفض، وصمم إنه يطردها من البيت، وقال البيت دا محترم ومايحصلش فيه النجاسة دى، ومارضيش يدخلنا البيت إلا لما عاهدناه إن اللى حصل دا مش هيتكرر تانى أبدا؟

- أيوة ساعتها انت قلت دا باين عليه مالوش فى الحريم، عشان البت كانت جامدة جداً وزى القمر.

- لا أنا قلت كدا فى المرة التانية، لما كنا معزومين عند قرايب الواد شيحا وصاحبة البيت طلعتنا عندها فوق، و(ليزا) رفض برضه، قلت ساعتها الموضوع مش موضوع البيت والسمعة لا دا أكيد مالوش فى الحريم خاصة إنى عمرى ماشفته بيعاكس واحدة.

- بس أهو اتجوز، ولو كان مالوش كان زمانهم اتطلقوا، وبالعكس دول فى منتهى السعادة.

— انت كدا قربت تفهم.

— قصدك إنه كان معانا غلط، ولقى نفسه فى العيشة الجديدة دى ؟

— الله اكبر أخيرا فهمت!

— طيب خلينى معاك، بيصرف منين ؟

— زى ماطول عمره بيصرف، من الأستديو وإيجار البيت، انت ناسى إن (ليزا) أبوه سايب له ملك ؟! وإنه هو مش صايع زينا؟

— عموما ياخبر النهاردة بفلوس .

— لو غدرت ب(ليزا) هتبقى خسرتنى أنا كمان.

— أنت بتهددنى؟!

— لا، بس احنا التلاتة أخوات، وماينفعش نأذى بعض.

— طب هنعمل إيه فى العميد سيف، ونجيب المعلومات اللى هو عاوزها إزاى؟

— ريح نفسك من المشوار دا.

— إزاى؟!

— أنا هاقوم بجمع المعلومات وأحضر لك كل حاجة، وانت عليك تقابله وتبلغه بيها وبكدا لا يأذينا ولا يأذى أخونا (ليزا) .

— اتفقنا.

أخذ (أحمد قيادة) على عاتقه مسؤولية جمع المعلومات ومنع أشرف خوفاً على (ليزا)، ورأى أن يصارح (ليزا) بكل شئ ويضعه فى الصورة، فقد كان من داخله سعيداً جدا بما وصل إليه (ليزا) من حب وتقدير من الناس، ولا يريد له أن يتعرض لأذى، وبالفعل ذهب إليه مجدداً:

— السلام عليكم يا (ليزا).

— وعليكم السلام يا أبوحميد .

— بص ياحبيبى، أنا هاحكى لك الموضوع من طأطأ لسلام عليكم .

شرح قيادة ل (ليزا) تفاصيل الاتفاق بين أشرف وأمن الدولة، وحذره من كل المحيطين به، وعرفه أن أمن الدولة بها عميد اسمه (سيف) يراقبه ويعرف عنه كل شئ، فأخذه (ليزا) وذهب به إلى الشيخ خالد كى يتدبروا الأمر.

ما إن دخلا حتى بادره (ليزا) محيياً:

— السلام عليكم ياشيخ خالد .

— وعليكم السلام ياشيخ محمد .

— دا صاحبى (أحمد قيادة)، راجل جدع وعشرة عمر.

— أهلا وسهلا بيك يا أخ أحمد .

- أنا كنت قربت أنسى إن اسمى أحمد.

- مش مهم الاسم المهم الإنسان يكون مع ربنا.

- ربنا يوفقك ياشيخ محمد .

- بص ياشيخ خالد، قيادة عنده كلام مهم وخطير، وقلت لازم أخليه يقوله لك عشان تقول لى هنعمل إيه ؟

- بص يامولانا، فيه ظابط فى أمن الدولة مكلف أشرف بجمع معلومات عن الشيوخ اللى فى المنطقة، وطبعا دا معناه تحريات عن (ليزا) وعنك انت، طبعاً، لأن أشرف مايعرفش أى شيخ إلا (ليزا).

خالد : وأشرف قال له إيه ؟

قيادة : أشرف أصلا مايعرفش حاجة، وكان كل هما إنه يخرج، بس المشكلة دي الوقت إنه لازم يبلغه بالمعلومات، ولازم تكون صحيحة لأنه لو كدب عليه هيوديه ورا الشمس، وهما أصلا عارفين كل حاجة.

خالد : سيبونى أفكر، وبكرة أبلغكم باللى المفروض نعمله بالظبط.

خرج (ليزا) وقيادة تاركين الشيخ خالد فى حيرته :

«ماذا نفعل، لو أغلقنا الطريق أمام أشرف سيقوم بإبلاغ العميد (سيف) بمعلومات خاطئة، متضاربة، تثير الشكوك

حـول نشـاطنا الدعـوى، الحـل الوحيـد إذن، أن نعطـى أشـرف كل المعلومـات الصحيحـة، وبـكل تفاصيلهـا وبذلـك نفتـح صفحة جديـدة مـع الأمـن، كـى يجـددوا الثقـة فـى جماعـة التبليـغ والدعـوة وأعضائهـا .

بـدأ قيـادة فـى تدويـن المعلومـات التـى يمليهـا عليـه (ليـزا)، والتـى تفيـد بأنهـم جماعـة دعويـة، يحفظـون القـرآن، ويقيمـون الصـلاة فـى مواعيدهـا، ويدعـون النـاس إلى الحفـاظ عليهـا فـى جماعـة داخل المسجد، لا يتكلمـون فى السياسـة، ويرفضون آراء الشـيخ (جابـر)، ويعتـبرون مـا فعلـه فتنـة سيحاسـبه اللّه عليها، وأن ذنـب كل الضحايـا الذيـن ماتـوا أو ألقـى القبـض عليهـم فـى رقبتـه إلى يـوم الديـن وأنـه سـيلقى فيـه حسـاباً مـن اللّه عسـيراً.

دون قيـادة كل المعلومـات، وسـلمها ل أشـرف سـعد الـذى فـرح جـدا بوفائـه بالوعـد الـذى قطعـه علـى نفسـه أمـام العميـد (سـيف)، اتجـه إلى (جابـر) بـن حيـان ليلتقـى بالعميـد (سـيف) فـى مقـر مباحـث أمـن الدولـة .

(سيف) يقرأ ما قدمه له أشرف :

— إيه الكلام الفارغ اللى انت كاتبه ده؟

— واللّه يـا افنـدم دى الحقيقـة، أنـا شـغال أنـا وأحمـد قيـادة، هـو مـن ناحيـة وأنـا مـن ناحيـة، واللّه يـا افنـدم المجموعـة دى نشـاطها كـدا زى ماقلـت لسـيادتك.

— عـاوز تقـولى إن همـا بيصلـوا وبيحفظـوا القـرآن طـول الوقـت، أمـال بيصرفـوا منـين ؟! مصـادر التمويـل، عـاوز أعـرف مـين اللـى بيمـول النـاس دول، هـى دى المعلومـات اللـى أنـا عاوزهـا، مـش موضـوع الإنشـا اللـى انـت كاتبـه دا.

— يـا افنـدم، (ليـزا) شـاب غنـى أصـلا وابـن نـاس، عنـده بيـت ملـك ومحـل مصوراتـى مشـهور فـى إمبابـة، وأغلـب النـاس بيحفظـوا أولادهـم القـرآن بفلـوس، واللـى مامعاهـوش فلـوس بيحفـظ كـدا لوجـه الله.

— (ليزا) البلطجى بقى شيخ !

— لا يـا افنـدم، الشـهادة لله (ليـزا) عمـره مـاكان بلطجـى، هـو شـاب صحتـه حلـوة ورياضـى وقلبـه حديـد، دا كان بيقفـل شـارع لوحـده، بـس كان بيحمـى أهـل حتتـه وبـدون مقابل.

— طب روح انت.

رن (سيف) الجرس، فيدخل العسكرى:

— أمرك ياباشا.

— هاتولى (ليزا) من تحت الأرض.

الأمـن يحاصـر منـزل (ليـزا)، فرقـة كبـيرة مـن قـوات الأمـن المركـزى مسـلحة بالرشاشـات، وعربـات مصفحـة تنتظـر خـارج المنطقـة لأنهـا لم تسـتطع الوصـول لضيـق الشـارع، البـاب يـكاد يكسـر مـن شـدة الطـرق، (أمـل) تفتـح البـاب فـى ذغـر:

— فين (ليزا)؟

— أفندم.

تعالى يا (ليزا).

سلم (ليزا) نفسه بهدوء لقوات الأمن الذين وضعوا كمامة على عينيه فور دخوله السيارة، وظلت على عينيه حتى وصل غرفة لا يعلم أين هى، ولكن لم يستغرق الوقت أكثر من نصف ساعة فأدرك أنه فى مقر أمن الدولة فى جابر بن حيان .

ظل (ليزا) فى الحبس الانفرادى لايكلمه أحد ولا يتكلم مع أحد، الحارس يدخل له الطعام مرة فى الصباح ومرة فى المساء بطريقة ميكانيكية كأنه إنسان آلى لا يرد على أسئلة (ليزا)، ولا يشعر بوجوده مما يلقى الرعب فى قلب (ليزا) الذى كاد أن يتوقف من الخوف .

خمسة عشر يوما مضت، و(ليزا) يصلى ويقرأ القرآن و نوى الاعتكاف، وبعد أن يئس من رد السجان لم يعد يسأل .

بعد منتصف ليل الليلة السادسة عشر فتح باب الزنزانة وألقى على (ليزا) جثة إنسان مات من التعذيب.

— الله اكبر، حسبى الله ونعم الوكيل، هو فيه إيه ؟!

تفحص (ليزا) الجثة فيجده مازال حيا :

— الحمد لله لسه عايش .

بـدأت الغرفـة تسـتقبل وفـوداً جديـدة، سـجيناً آخـر، ثـم أربعـة سـجناء، كل المعتقلـين لحاهـم طويلـة، وملابسـهم كانـت بيضـاء قبـل أن يرسـم عليهـا الـدم صـوراً لويلاتهـم التـى رأوهـا فـى الاسـتجواب .

أذان الفجـر، (ليـزا) يـؤذن ويدعـو زمـلاءه للقيـام للصـلاة، ومـن لم يسـتطع فليصـل وهـو نائـم علـى جنبـه، أو حتـى يصلـى بعينيـه، ومـا إن فـرغ (ليـزا) مـن صـلاة الفجـر حتـى سمـع صوتـاً ينـادى عليـه مـن البـاب، تقـدم (ليـزا): – مـين ؟

– فيه توصية عليك من فوق قوى، وهتخرج.

– مين ؟ عموما الحمدلله، على كل حال

بدأ (ليزا) يجمع أغراضه كى يغادر هذا المكان.

صحـب العسـكرى (ليـزا) حتـى دخـل غرفـة العميـد (سـيف) الـذى سـلم عليـه بحـرارة وقـال :

– انت راجل جدع يا (ليزا) ولا ياشيخ محمد (ليزا)؟

– أى حاجة يا افندم.

تذكـر (ليـزا) قـول زميلـه فـى المعتقـل مـن أنهـم يقبضـون على النـاس أولا، ثـم يجـرون عنهـم التحريـات اللازمـة، فـإذا كانـوا متورطين قبض عليهم بسـهولة، وإذا كانوا أبرياء يطلق سـراحهم.

– انت زى الفل.

- جزاك الله خيرا يا افندم.

- صلى زى ماانت عاوز، وحفظ العيال القرآن وبلاش موضوع الاعتكاف والخروج فى سبيل الله، لحد ما أقول لك، ولما الدنيا تهدى هاسيبك تخرج فى سبيل الله وتدعو الشباب للصلاة زى ما انت عاوز، ولو أى حد اتعرض لك قل لى، ولو حد من الجماعة بتوع جابر اندس وسطكم، أو حاول الاتصال بيكم بلغنى فورا.

تذكر (ليزا) قول الشيخ خالد له ومبايعته كأمير لجماعة التبليغ والدعوة، وكأن العميد سيف يعترف به ويتعامل معه على هذا الأساس:

- احنا يا افندم جماعة دعوية .

- التبليغ والدعوة .

- تمام.

- احنا اتاكدنا إنكم بتدعو إلى مكافحة ترك الصلاة، مش صح كدا ؟ ودا غرض نبيل واحنا بنساعده، بس اللى عملوه بتوع السلفية الجهادية خدكم فى الرجلين.

- حسبى الله ونعم الوكيل فى كل من أحدث فتنة تضر بالمسلمين.

- اشتغلوا، وخلوا الناس تصلى وتحفظ القرآن زى ما هما عايزين، بس أهم حاجة لو قابلتوا أى حد بيتكلم فى

السياسة ابعدوه عنكم، عشان احنا مش هنرحمه ولانرحم أى حد متورط معاه .

— أعاهد سيادتك أمام الله إننا مش هنتكلم فى السياسة، ولا الحكم ولا الانتخابات، ودا ببساطة عشان احنا ما بنفكرش إلا فى حاجة واحدة .

— هى إيه ؟

— إزاى الناس ترجع تصلى فى الجوامع كل الصلوات فى جماعة .

— توكل على الله .

خرج (ليزا) من مباحث أمن الدولة متجهاً إلى الشيخ خالد كى يخبره بالصفقة التى أجراها مع العميد سيف، ويبشره بعودة الثقة بين الدولة والجماعة، وأن نشاطهم سيعود من جديد.

— الحمد لله، مش قلت لك انت مكسب كبير لجماعة التبليغ والدعوة يا (ليزا).

— الحمد لله يا شيخ خالد، عاوزين نرجع ونشتغل أكتر من الأول، ونعوض كل دقيقة ضاعت مننا.

— على بركة الله .

— على بركة الله.

حياة جديدة

الحياة الجديدة ترسم لوحة من الرضا على وجه (أمل)، لم تكن تحلم يوما بأكثر من هذه السعادة والأمان، تزوجت من تحب، ثم صار كما كانت تتمنى، زوجاً مؤمناً، مخلصاً، طيباً، كانت تحلم به فتحقق ما هو أكثر من الأحلام.

— صباح الخير يامولانا.

قالتها أمل وهى تقدم الشاى لزوجها ليزا فى صالة الشقة.

— صباح النور ياحبيبتى، مش قلت لك كذا مرة تقولي لى ياليزا؟ باحبها منك أكتر من أى اسم تانى.

— حاضر، زى ماتحب .

— شكلك خارجة، على فين العزم؟

— عندى مشوار بعد إذنك .

— خير! !

— عاوزة اطمئن على صفاء صحبتى، تصور من يوم الفرح ماشفتهاش ولا مرة، انت عارف ياليزا البنت دى غلبانة

قـوى، ومالهـاش حـد فـى الدنيـا غـيرى، انـت فاكرهـا ؟

— أه طبعا، عارفها كويس.

— ظروفهـا ياعينـى صعبـة جـدا مـن جميـع النواحـى، أبوهـا بيعاملهـا معاملـة وحشـة قـوى، وبياخـد فلوسـها، ومـش عارفـة تجهـز نفسـها، وحالتهـا صعبـة جـدا .

كادت (أمل) تقص على (ليزا) مأساة صفاء مع والدها، ولكنها قـررت أن تحتفـظ بالسـر، وألا تخـبر بـه أحـداً ولا حتـى (ليـزا).

— لا حول ولا قوة الا بالله.

— نفسـى أسـاعدها قـوى ياليـزا، دى صاحبـة فضـل علـىّ، أنـت فاكـر ؟ هـى اللـى سـاعدتنى وخلتنـى اتجـوزك.

— نسـاعدها طبعـا، ماينفعـش نسـبها لوحدهـا مـع الراجـل المفـترى دا، بـس إزاى؟

— نخلصها من البيت دا. (قالتها أمل بسرعة)

— أنـا ممكـن أعمـل لـه قعـدة عـرب، وأجيـب رجالـة كبـار مـن المنطقـة وناخـد عليـه تعهـد إنـه يرحمهـا مـن بـروده دا، ويسـيبها فـى حالهـا، يعنـى لـو مـش عـاوز يصـرف عليهـا يسـيبها تصـرف علـى نفسـها، مـش ياخـد فلوسـها كمـان، إيـه الرجالـة دى؟! لا حـول ولا قـوة الا بـالله.

— لا ياحبيبى، مش عاوزين نفضحها، والناس كلها تعرف.

— أمال نعمل إيه بالظبط؟

— نجوزها لراجل يراعيها ويحافظ عليها.

— زى مين يعنى؟

إيه رأيك فى أحمد قيادة ؟ شاب جدع وطيب، ونفسه يبقى له بيت يلمه، وأهى الشقة اللى فى التالت هتفضى.

— عندنا هنا ؟ مين اللى قال لك؟

— سمعت من الحاجة إنهم بيشطبوا فى بيتهم اللى بنوه فى بشتيل، وهينقلوا فى الوسع هناك شقق كبيرة، وبكدا ياخد قيادة الشقة الصغيرة دى اللى عندنا بنفس الإيجار، وهما أولى من الغريب.

— انتِ ملاك يا أمل، دايما بتفكرى فى غيرك، بس أنا ما أقدرش أغش صاحبى، ولازم أحكى له على كل حاجة.

— بلاش ياليزا، ممكن صفاء تزعل، واحنا مش عاوزين نقصر رقبتها قدام عريسها .

— هو انتِ خليتيه عريسها على طول كدا ؟

يقولها (ليزا) وهو يضحك، فتضحك (أمل) ثم يكمل:

— بصى يا ستى، ليزا مايغشش أصحابه أبدا، لازم أقول له إنه راجل غير أمين، وعاوز يسرق فلوس البت

وشقاها، وبكدا أبقى ريحت ضميرى، وفى نفس الوقت نبهته عشان يخلى باله ويحميها منه .

— اللى تشوفه ياحبيبى.

— كلميها، واعتبرى قيادة وافق.

— ربنا يخليك ياحبيبى، على فكرة هو بيشتغل إيه؟

— هو يتيم، اتربى فى الملجأ، بس شاطر قوى فى القيادة، عشان كدا اسمه أحمد قيادة، بيسوق موتوسيكلات، وعربيات نقل، وجرارات، وملاكى، وحفار، وأتوبيسات، إن كان على الرخصة أنا هاطلعها له.

— خلاص هاقول لها سواق تاكسى، وأهو أولاد الحلال كتير، نشوف له تاكسى يشتغل عليه ورديه، ما تعرفش قيادة كبر فى نظرى قد إيه لما وقف جنبك فى موضوع أمن الدولة وكان خايف عليك قوى، قيادة بيحبك، وأنا أى حد يحبك يبقى أكتر من أخوى، واللى يخاف عليك أشيله على راسى ياحبيبى.

— ربنا يخليكى يا أمل .

ذهبت أمل لمنزل صفاء، فوجدتها متشحة بالسواد، وعينيها حمراوين متورمتين من كثرة البكاء.

— إيه اللى جرى، مالك ؟

— النهاردة الأربعين بتاع بابا.

— الله يرحمه ،الفراق صعب برضه ، والله ما اعرف.

كانت أمل تريد أن تقول لصفاء ألف مبروك، أن خلصها الله من هذا الخنزير، ولكنها أمسكت لسانها ولم تنطق بكلمة.

— إيه اللى فكرك بيّ، أنا حسيت إنك خلاص، بتستعرى منى، وإن احنا ما بقاش ينفع نبقى أصحاب، ما هو بالعقل يعنى، مرات الشيخ تبقى صاحبة بنت الخمورجى؟!

— عيب عليكِ، اللى مالوش قديم مالوش جديد، وانتِ أختى، والله كنت فى محنة كبيرة، مش (ليزا) اتقبض عليه .. وكنت دايخة وراه بين الأقسام، وشفت أيام سودا، والنبى تسامحينى وماتزعليش منى دا انتِ أختى وحبيبتى، هو احنا لينا غير بعض؟!.

بدأت صفاء تبكى وهى تقبل أمل :

— واحشانى قوى والله يا أمل.

— أمال لما تعرفى أنا جاية لك ليه ياعروسة (بابتسامة).

— إيه..... جايبة لى عريس ؟

— طـول عمـرك تفهميهـا وهـى طايـرة، صاحـب (ليـزا)، واد طيـب وابـن حـلال وشـكله حلـو، سـواق تاكسـى، مقطـوع مـن شـجرة، لا أب ولا أم، يعنـى مـش هيكـون لـك حمـا، وحاجـز شـقة عندنـا فـى البيـت هتفضـى بعـد تـلات شـهور.

— مين ؟

— أحمد قيادة.

— أيوة عارفاه، شكله ابن حلال، وغلبان زى حالاتى.

— أفهم من كدا إنك موافقة؟

— بس لى شرط واحد .

— إيه هو؟

— ييجـى يعيـش معانـا هنـا، يـا إمـا آجـى أنـا وأمـى وأختـى نعيـش معـاه، أنـا ماقـدرش أسـيب أمـى وأختـى .

— هابلغـه وأقـول لـك، بـس أنـا عارفـه إنـه مـش هيرفـض لأنـه معجـب بيـكِ قوى.

— هو قال لك كدا؟

— أنـا كنـت بالاحـظ وهـو بيبـص عليـكِ أنـه معجـب، بـس مـا يقـدرش يتكلـم.

— ليه ؟!

— انـتِ متعلمـة، معـاكِ دبلـوم وهـو يـادوب بيفـك الخـط، بـس الراجـل مايعيبـوش حاجـة ولا انـتِ شـايفه إيه؟

— مـش عارفـة أقـول لـك إيـه، مادومتـى شـايفة كـدا، ومـن طـرف (ليـزا)، خـلاص أنـا موافقـة.

طاقـة أمـل جديـدة، وبـاب للتوبـة فتـح أمـام صفـاء التـى تحـدث نفسـها وتخاطـب ربهـا :

— اللهـم لـك الحمـد والشـكر، خـلاص، الواحـدة لازم تبتـدى صفحـة جديـدة، وربنـا يسـامحنى علـى اللـى فـات، وأحمـد قيـادة شـاب ممتـاز، ولازم أقـف جنبـه، وأبقـى أهلـه اللـى اتحـرم منهـم، وأخليـه أحسـن راجـل فـى الدنيـا.

ثم بدأت تسائل نفسها:

«ولكـن هـل أسـتطيع أن أتغـير؟ هـل مـن حقـى أن أحـاول تغيـير مصـيرى، هـل أسـتطيع تغيـير النتائـج الحتميـة لأفعـال اضطرتنـى ظروفـى أن أقـوم بهـا، أشـياء فرضـت علـىّ، مـع أنى كنـت ومازلـت غـير راضيـة عنهـا، أم أننـى خلقـت مـن أجـل هـذا المصـير، ومهمـا حاولـت فـكل المحـاولات سـتبوء بالفشـل، وكل الطـرق سـتصل بـى إلى نهايـة واحـدة، محـددة، وثابتـة».

ظلـت صفـاء وحدهـا فـى المنـزل بعـد أن تركتهـا أمـل، والتـى أعطتهـا فرصـة للبدايـة مـن جديـد، جـاءت تحدثهـا عـن

رجل، وبيت، وحياة جديدة، يمكنها أن تبدأ من جديد، نعم يمكنها أن تتغير.

وانتقلت بتفكيرها فى ذاتها إلى تفكيرها فى أمل نفسها:

مين كان يصدق إن أمل – اللى كانت حلم كل شباب المنطقة، واللى كانت بتتعايق بشعرها الطويل ووشها الجميل، وجسمها الروعة تتحجب، وتدارى جمالها، وتلبس اللى هى لابساه ده، وتبقى داعية للخير، و(ليزا) يبقى شيخ، والناس تسمع كلامه برضه، ويكبروه زى ماكان زمان، مين يصدق ؟! أنا كمان هابدأ مع (أحمد) حياة جديدة بما يرضى الله، إيه المانع، هو أنا يعنى كنت شيطانة، هو أنا يعنى لو كان لىّ أب محترم زى باقية الناس كنت عملت اللى عملته دا ؟!

حسمت صفاء أمرها، وقررت الموافقة على أحمد قيادة.

لم تمر أيام كثيرة، وبينما صفاء فى بيتهم رن جرس الباب فأسرعت ثناء تفتح الباب :

– مين حضرتك ؟

أحمد قيادة وعلبة الشيكولاتة بيده:

– آنسة صفاء موجودة.

ثناء : أيوة اتفضل، انت العريس، أنا عرفتك، ياصفاء العريس جه وجاب معاه شيكولاتة .

تخـرج صفـاء وأمهـا مـن الغرفـة لتسـتقبل قيـادة والفرحـة ترقـص فـى عينيهـا.

سلمت أم صفاء على العريس قائلة :

— أهلا ياحبيبى، شرفتنا ونورتنا.

وأكملت صفاء :

— أهلا يا أستاذ أحمد، اتفضل.

بـدت صفـاء وأختهـا الصغـيرة ثنـاء والأم فـى سـعادة لم يعرفنهـا مـن قبـل، فهـذا البيـت الـذى كان دائمـا واحـة للنكـد والعـراك الدائـم يبـدو أنـه قد آن لـه أن تدخله السـعادة لأول مرة.

بدأ أحمد الكلام محدثاً أم صفاء :

— بصـى ياماما، أنـا ابـن بلـد ودوغـرى، وباحـب أدخـل فـى المواضيـع عـدل، ماليـش فـى اللـف والـدوران.

— بايـن عليـك يابنـى ابـن حـلال وقلبـى اتفتـح لـك مـن سـاعة ما شـفتك.

— الله يخليِـك ياماما، تسـمحى لى أقـول لـك ياماما ؟ أصلـى أنـا عمـرى مـا قلتهـا لحـد مـن قلبـى، كنـت باقولهـا لمديـرة الملجـأ اللـى اتربيـت فيهـا، بـس مـش مـن قلبـى، والنهاردة أنـا باقولهـا لحضرتـك مـن قلبـى والله، وربنـا يعلـم.

أنـا جـاى النهـاردة عشـان أبقـى واحـد مـن العيلـة دى، مـش مجـرد جـوز بنتـك صفـاء، لا أنـا عـاوز أبقـى ابنـك وأخـو ثنـاء، وتبقـوا عيلتـى اللـى اتحرمـت منهـا.

تأثـرت صفـاء بـكلام أحمـد، الصـادق، الخـارج مـن القلـب، إلى حـد البـكاء فقالـت مـن بـين دموعهـا :

— مـا كنتـش عارفـه إنـك حنـين كـدا، وقلبـك كبـير قـوى كـدا يـا (أحمـد) .

بـدأت صفـاء تنظـر لأحمـد نظـرات حـب وإعجـاب، فقـد ظهـرت جوانـب رائعـة فـى شـخصيته، لم تسـمح لهـا الظـروف أن تعرفهـا قبـل اليـوم.

— تشرب إيه؟

— شربات بقى،ولا أيه رأيك ياعروسة ؟

هنا تدخلت أم صفاء :

— قومى هاتى الشربات ياثناء.

فقالـت صفـاء: لا، أنـا اللـى هاقـوم أجيـب الشـربات، مـش أنـا العروسـة، وهازغـرد لنفسـى كمـان.

بـدأت صفـاء تزغـرد، وتعلـن للجـيران أن هـذا البيـت أصبـح لـه رجـل محـترم مسـئول عنـه، فقـد أصبـح زوجهـا أحمـد قيـادة هـو رجـل العائلـة.

الشيخ جابر

فـى إحـدى قـرى الصعيـد، وتحـت حراسـة مشـددة مـن أنصـاره، بـدأ الشـيخ (جابـر) يعيـد ترتيـب الأوراق، ليعـاود الانقضـاض مـرة أخـرى، ويحقـق أحلامـه التـى اتسـعت، فبعدما كان حلمـه الانفصـال بإمبابـة ومراكزهـا، أصبـح يطمـح الآن إلى السـيطرة علـى مصـر كلهـا، ويـرى فـى نفسـه المنقـذ الـذى يملـك القـدرة علـى حمايـة مصـر مـن العلمانيـين الكفـار، الذيـن نهبـوا خيراتهـا، ويحرمـون المسـلمين الذيـن يمثلـون أغلبيـة الشـعب، مـن كل شـئ .

بـدأ (جابـر) بالتخطيـط للقيـام بعمليـات عسـكرية تسـتهدف أقسـام الشـرطة وضبـاط أمـن الدولـة فـى محافظـات متفرقـة فـى الوقـت نفسـه حتـى ينهـك أجهـزة الأمـن، ويشـتتها فـلا تسـتطيع مقاومتـه، والقبـض عليـه .

(جابر) يحدث صديقه حسن :

— عمليـة بكـرة تعتـبر أهـم عمليـة فـى عمـر الجماعـة، اللهـم انصرنـا علـى أعدائنـا، وأعدائـك يـارب العالمـين.

قال له حسن :

- احنا اتورطنا فى الدم خلاص، ومابقيناش نقدر نرجع، بس لازم نخلى بالنا يا(جابر).

- قصدك إيه ؟

- نسف كوبرى إمبابة هيهز العالم، خاصة إنه هيسبب موت وجرح ضحايا كتير قوى، وإن الجناح العسكرى كله من سكان إمبابة، يعنى اللى هيموتوا دول عائلاتهم، وجيرانهم، وكلهم مسجلين عند أمن الدولة، يعنى تحركهم لتنفيذ العملية كمان هيكون صعب جدا، وهروبهم بعد تنفيذ العملية هيكون مستحيل.

- هى دى الخبطة الكبيرة اللى هتقضى على سيف ورجالته.

- ربنا يستر .

يدخل أحد مساعدى الشيخ :

- أخبار سيئة يامولانا .

- إيه اللى حصل ؟!

- اتقبض على أفراد الجناح العسكرى، السبعتاشر مجاهد كلهم، سبعة استشهدوا، وعشرة وقعوا فى الأسر.

- إنا لله وإنا إليه راجعون، لا حول ولا قوة إلا بالله، إزاى دا حصل ؟!

— إخبارية من واحد مرشد فى إمبابة .

— لازم تسألوا مصادرنا فى الداخلية، وتعرفوا مين ورا فشل العملية، مين اللى سلم رجالتى على طبق من فضة ل(سيف).

الأخبار بتقول إنه مرشد، عيل سوابق اسمه أشرف سعد، هو المرشد بتاع المنطقة، وبلغهم بأن مجموعة سكنوا جديد فى شقة مفروشة فى شارع الاعتماد، وكلهم مشايخ، وجات معاه صدفة.

— صدفة ؟ إزاى، لازم تعرفوا لى مين أشرف سعد دا .

— أشرف دا واد بلطجى مالوش فى الطور ولا فى الطحين، هما تلات عيال شغالين مع بعض ورجليهم شيلاهم، أشرف سعد وأحمد قيادة و(محمد ليزا).

— مش (محمد ليزا) دا اللى عامل نفسه شيخ ؟ مش دا تلميذ خالد ؟ هو الشيخ (إبراهيم عزت) دا وراى وراى، إن ماكانش هو، يبقى واحد من أتباعه الخونة اللى باعوا الإسلام، واشتغلوا مع الحكومة ضد دينهم وربهم.

قال حسن :

— كفاية بقى، حرام عليك يا(جابر)، انت عارف إن الكلام دا مش صح، كل اللى بتقوله دا غلط .

- اطلع بره، اطلعوا كلكم بره، وأنا لىّ حساب كبير مع (ليزا) وخالد، وكل تيار التبليغ الخانع، اللى بيسلم المجاهدين لزبانية السلطة.

فى هذا الوقت وفى إمبابة كان أشرف سعد يرن جرس منزل (ليزا) .

- اتفضل يا أشرف .

يدخل أشرف ويسلم على صاحبه، ثم يجلس وهو يتفحص (ليزا) مندهشا من التغيير الكبير الذى طرأ عليه، ملابس بيضاء ناصعة ورائحة المسك، ولحيته الطويلة، ووجهه المنير .

بادره أشرف قائلاً:

- أنت عارف أنا باحبك قد إيه، دا عيش وملح، وفرحت لك قوى، شيخ كبير ومتصيت برضه ياأخى، (ليزا) دايما كبير فى أى حتة، وفى أى مجال بيبقى الريس.
- وأنا باحبك يا أشرف دا احنا أخوات .
- عشان كدا أنا جاى أحذرك.
- تحذرنى ؟!
- مؤامرة كبيرة بتحصل حواليك.
- قل لن يصيبنا إلاماكتب الله لنا (قالها ليزا وهو ثابت).

- أمن الدولة باعونا، وبقينا فى خطر.
- صلى على النبى واهدا واحكي لى بالراحة.
- جهاز أمن الدولة سرب معلومات عن طريق المرشدين إن احنا اللى أرشدنا عن خلية كوبرى إمبابة.
- وهما يعملوا كدا ليه؟! (قالها ليزا مندهشا)
- والله ما عارف، والشيخ جابر حالف إنه هيخلص علينا أنا وانت، وأقسم بالله إن كل راجل من رجالته هيكون قصادة عشرة من جماعة التبليغ، وإنه هو اللى هيقود العملية بنفسه.

أجاب (ليزا) وكأنه يستعيد شخصيته الأولى :

- ييجى أهلا وسهلا، وأنا أطلع له لوحدى، وبعون الله أكسحه وأخليه يزحف من أول قهوة (وزة) لغاية ناصية سور الصنايع.
- أنا عارف طبعا إن انت كفاءة، ماحدش ينكر، وقلبك قاعد، وتقدر تجرّى كتيبة منهم قدامك، بس الموضوع كبر، وبقى معاهم قنابل بتتفجر عن بعد، ورشاشات، دى مش خناقة، دى معركة حربية، وأنا خايف عليك.
- خليها على الله .

عبير

أحـدث خـبر زواج صفـاء صدمـة كبـيرة لعبـير التـى كانـت حياتهـا مسـتقرة منـذ عقـدت معهـا الصفقـة المريبـة، مـاذا أفعل؟ هـل سـأعود مـرة أخـرى للبحـث عـن غيرهـا ينقذنـى مـن حالـة الضيـاع والحرمـان التـى سـأعود إليهـا مـن جديـد؟

مـع أنـى لم أشـعر يومـا بالسـعادة الكاملـة مـع صفـاء، لكنـى لا أسـتطيع أن أعيـش بدونهـا، أعـرف أنهـا لم تحبنـى يومـا، وأنهـا كانـت تفعـل معـى كل مـا أريـد مـن أجـل المـال، ولكنـى كنـت أحبهـا وأخلـص لهـا، لمـاذا تتخلـى عنـى وتتنـازل عـن حبـى لهـا بهـذه السـهولة ؟ مـاذا أفعـل ؟

وجـدت (عبـير) نفسـها أمـام بيـت (صفـاء) ويدهـا تـرن جـرس البـاب.

صفاء : اتفضلى .

— صحيح اللى سمعته دا؟

سـألتها عبـير والحـزن يهزمهـا وكأنهـا أمـراة سمعـت خـبر زواج زوجهـا مـن أخـرى .

صفاء تضحك وتقول فى سرها (يابنت المجنونة) ثم تقول :

— تعالى ياعبير ادخلى .

عبير : أنا جاية أسالك سؤال واحد، أنا قصرت معاكِ فى حاجة ؟! أنا إيه ذنبى، تغدرى بىَّ بالقسوة دى ليه، أنا عملت إيه ؟!

— بص ياعبير انتِ مش محتاجة لى، ولا محتاجة لأى واحدة .

سألتها عبير وهى تبكى :

— دى الوقت بتقولى كدا؟

— هى دى الحقيقة، انتِ بتخلينى أعمل اللى نفسك الرجالة تعمله فيكِ، انتِ سليمة، وبتحبى الرجالة أنا متاكدة.

— إزاى ؟

— لما بنبقى مع بعض، دايما بتنادينى باسم راجل، وبتتصرفى معايا دايما كأنى راجل وانتِ ست، انتِ مش شاذة، انتِ سليمة بس عندك مشكلة وحلها بسيط، مشكلة نفسية.

عبير تتألم وتبكى وهى تسمع كلام صفاء .

تكمل صفاء :

— أنا مش عاوزاكِ تعيطى، هى دى الحقيقة، علاقتك بأختك كانت يتسعدك عشان كنتوا بتقضوا وقت طويل، أكتر من ساعة مع بعض، وانتِ بتحبى كدا، فترة طويلة، وبعدها ممكن يحصل كل شئ.

— يعنى أنا انفع مع راجل ؟!

— طبعا انتِ زى الفل، بس الراجل دا لازم يكون فاهم، انتِ محتاجة وقت طويل للهزار، مش يبقى زى الحمار اللى كنتِ متجوزاه.

— قصدك الحمارين (وتضحك) .

— هى دى الحقيقة، انتِ جميلة وغنية، ماتعقديش حياتك، اتجوزى، ومافيهاش حاجة لما تفهمى جوزك على طبعك، مافيهاش حاجة أبدا، عارفة ياعبير انتِ عاوزة راجل حقيقى من بتوع زمان، راجل يكون صاحب مزاج، يفضل يرقّص فيكى، ويدلّعك ساعتين تلاتة، وانتِ تاكليه بسنانك بعد كدا، مش العيال الفافى بتوع اليومين دول .

تأكدت عبير أن قرار صفاء نهائى، وأن علاقتها بها قد انتهت للأبد.

— ألف مبروك ياصافى .

- حطى الكلام اللى أنا قلته فى دماغك، انتِ إنسانة طيبة، لو اتخلصتِ من العيب الوحيد اللى فيكِ، هتبقى أحسن واحدة فى الدنيا.

- هاحاول، فعلا لازم أواجه المشكلة دى، ولازم أحلها.

عادت عبير إلى الكوافير بعد أن استسلمت للواقع الجديد، وكل الأحداث تدور فى رأسها، ففى كل الأحوال لم تعد صفاء ملكاً لها، كل شئ عاد إلى نقطة الصفر، لقد كانت صفاء تؤدى مهمة مقابل المال، لم تحبنى أبدا لذلك أنهت العلاقة بمنتهى البساطة، لقد خانتنى، خانت حبى وإخلاصى لها، فأنا لم أعرف أى سيدة أو فتاة طوال فترة علاقتنا، وكنت أرفض البنات اللاتى يعرضن أنفسهن علىّ، نعم كنت أحبها حبا عميقا مع أنى كنت واثقة من أنها لم ولن تحبنى أبداً.

تنازلت عنى بهذه السهولة ولكنى لن اتنازل عن حبى لها، فقد عشنا سنة كاملة من أجمل سنوات العمر .

عبير تجلس على كرسى المكتب المخصص لها فى الكوافير بينما تدخل فتاتان.

إحدى الفتاتين :

- مساء الخير.

- مساء النور ياحبيبتى .

قالتها عبير وهى تتفحص الفتاة الأخرى، كأنها تعاينها.

- عـاوزة أعمـل شـعرى زى شـعر صفـاء (وتشـير إلى الفتـاة الأخـرى)

- قوى قوى ياحبيبتى

ثم تنظر لصفاء متسائلة :

- هو انتِ اسمك صفاء ؟! سبحان الله .

- خير، هو فيه حاجة يامدام ؟!

- أعـز صديقـة لى كان اسمهـا صفـاء، سـافرت الخـارج مـع جوزهـا النهـاردة، بيقطـع مـن حتـة وبيوصـل فـى حتـة، هـو انـتِ بتشـتغلى ياصفـاء؟

- بادوّر على شغل.

ردت عبـير وكأنهـا أسـد وجـد فريسـة ويخشـى هروبهـا فقـرر الانقضـاض عليهـا بسـرعة :

- أنـا محتاجـة لحـد زيـك، يكـون معايـا فـى الكوافـير والبيت وكل حتة.

- يعنـى إيـه يامـدام، شـغالة ؟! انـتِ فهمتينـى غلـط، أنـا متعلمـة ومعايـا دبلـوم.

- سكرتيرة .

- أنـا موافقـة، وهـى تنظـر لصديقتهـا : بصراحـة الشـغلانة دى جايـة فـى الوقـت المناسـب.

- فعـلا ياحبيبتـى، وانـتِ كمـان جيتـى فـى الوقـت المناسـب ماتعرفيـش اللـى قبلـك كانـت مريحانـى قـد أيـه وشـايفة كل طلباتـى بـس النصيـب بقـى، اتجـوزت، علـى فكـرة كانـت جميلـة زيـك، واسمهـا صفـاء علـى إسمـك.

- ربنا يخليكى يامدام، وأقدر أنزل الشغل من أمتى ؟

- من دى الوقت

قالتهـا عبـير وعيناهـا ترقـص فيهـا الفرحـة : هـو النصيـب كـدا، تمشـى صفـاء، تيجـى صفـاء غيرهـا وأحسـن منهـا، وتضحـك (عبـير) والفتاتـان فـى دهشـة .

أمن الدولة

اجتماع كبير فى مبنى مديرية أمن الجيزة يضم كبار القيادات الأمنية، رجال من مباحث أمن الدولة، والأمن العام، ورئاسة الجمهورية الذين تلاقوا فى الساعة السابعة صباحاً، وكأنهم قضوا الليل فى انتظار شروق الشمس.

العميد (سيف) يرأس الاجتماع بكلماته المعتادة، التى يبدأ بها كل الإجتماعات مع القيادات الأمنية وكأنه يدافع عن النظريات الحديثة التى درسها فى الخارج، والتى يرفض معظم الحضور تطبيقها، فهو يؤمن بأن علم نفس الجريمة الذى يدرس الدوافع التى تجعل المجرمين يقومون بهذه الجرائم يقدم لنا حلولاً، فإذا قضينا على الدوافع لارتكاب الجرائم منعت أو قلت إلى حد كبير.

الكل هنا يرفض طريقة (سيف) فى الاستجواب والبحث الجنائى، ويتهمونه بأنه خيالى، ونظرياته لايمكن أن تطبق فى مصر .

سيف :

- احنا كدا بنقضى على الإرهابين ونقبض عليهم، ولكن سيأتى غيرهم مئات لأننا لا نقضى على الإرهاب، علينا أن نحارب الإرهاب لا الإرهابيين.

العميد معتز :

- مافيش داعى للطريقة دى ياسيف باشا، مش وقته، البلد بتضيع، عندنا عيال مجرمين لازم نجيبهم ونولع فيهم كلهم، دول مش بنى أدمين، ولو اديناهم فرصة يتنفسوا هيولعوا فينا وفى البلد كلها.

- حضرتك مش فاهمنى يامعتز باشا .

يقف معتز بعصبية مهدداً :

- أنا كده مش هاكمل الاجتماع.

يتجاهله (سيف) ويوجه كلامه للآخرين : العيال دول بيعملوا كدا ليه ؟ هو دا السؤال اللى احنا لو جاوبنا عليه صح هنقضى على الإرهاب، من السهل جدا نحبس العيال دول أو نصفيهم، بس هيطلع غيرهم أكثر شراسة وعنف، خلوا بالكم ياباشاوات من كلامى كويس، لازم نقضى على الإرهاب وأسبابه.

معتز :

- أمال احنا بنعمل إيه؟! وأولادنا اللى بيضحوا بحياتهم كل يوم، دا احنا شغالين ليل ونهار.

- احنا فعلا بنقضى على الإرهابيين، ودول مجموعة أشخاص، لكن بنقوى ونغذى الفكرة وهى الإرهاب اللى بيكبر يوم بعد يوم.

- الكلام ده لا هيودى ولا هيجيب .

- الإرهاب فكرة ولازم نقضى عليها بالفكر والمناقشة، عاوزين العلماء يزوروا المعتقلين ويتحاوروا معاهم، دا لو لحقنا الولاد الصغيرين المغرر بيهم يبقى كسبنا مكسب كبير، لكن شعورهم بالظلم بيديهم مبرر جديد يرسخ الفكرة فى دماغهم، ويديها قوة وجاذبية، فيعجب بيها كتير من الشباب اللى بيسيطر عليه فكرة إننا بنحارب دين ربنا وإننا كفار.

- كفار إزاى ؟! احنا عارفين ربنا كويس يا (سيف) باشا، والعيال دى عارفين كدا، وبيخربوا فى بلادهم عشان الدولارات اللى بتجيلهم من بره.

- أنا شايف إن احنا لازم نقضى على أسباب الإرهاب واحنا بنقبض على العيال دول اللى بيرتكبوا جرائم جنائية، أما اللى عندهم أفكار متطرفة، مجرد أفكار، لازم نتحاور معاهم بمساعدة أهل الفكر والدين، لازم نواجه الفكر بالفكر.

- أنا منسحب من الاجتماع ياجماعة ومعترض على كل اللى قاله (سيف) باشا، وهاقدم مذكرة لمعالى وزير الداخلية لإعفائى من الاشتراك فى العملية دى.

(هرج ومرج فى القاعة، الضباط يحاولون إقناع معتز بالتراجع عن قراره ومواصلة الاجتماع حتى نهايته، فيقبل على مضض)

يواصل (سيف) حديثه :

- يعنى مثلا الجماعات دى مش شكل واحد، مع ذلك احنا بنتعامل معاهم كأنهم حاجة واحدة، ودا غلط، يعنى السلفية الجهادية مثلاً بيكرهوا التبليغ والدعوة، فاحنا ممكن نخليهم هما يصلحوا أفكار بعض، بمعنى إن احنا لو اتحنا الفرصة لجماعة التبليغ والدعوة تشتغل هينضم ليها الشباب المتدين بدل ما ينضم للجماعات التكفيرية، وبكدا يمارسوا نشاطهم فى الصلاة وحفظ القران ودعوة الناس للصلاة، فالناس دول بيعتبروا الثورة فتنة وحرام، والخروج على الدولة والنظام حرام شرعاً، وبيمنعوا أعضاءهم من الكلام فى السياسة، لازم نساعدهم، وهما اللى يجتذبوا الشباب، بدل ما ينضموا للجماعات اللى بتحاربنا ليل ونهار.

سأله أحد الضباط :

- حضرتك مش شايف إن دا هياخد وقت طويل، يكون العيال دول خلصوا على البلد؟

أجابه (سيف):

احنا لازم نشتغل على التوازى، بمعنى إن القوات تقبض على الإرهابيين وتقضى على الإرهاب فى نفس الوقت.

- يا افندم أنا آسف حضرتك، بس عاوز ألفت نظر حضرتك.

- اتفضل.

- الرئيس السادات حب يعمل فكرة التوازن دى، وكانت نهايته الفشل واستشهد هو على إيد الإرهابيين.

وجدها (معتز) فرصة للتدخل فى الحوار برؤيته:

- التبليغ أو السلفية أو أى اسم لأى جماعة كلها أسماء مختلفة، كلهم ليهم نفس الهدف، القضاء على نظام الحكم وعودة الخلافة، بس كل شيخ وله طريقة.

- القضاء على الإرهاب لازم يكون بالفكر، أنا متأكد إن القوة لوحدها عمرها ماهتقضى على الإرهاب

قالها سيف بصوت عالٍ موجهاً كلامه إلى معتز، ثم أكمل:

- ماينفعش نفضل طول الوقت ننشف فى الأرض المبلولة ونمسحها واحنا سايبين الحنفية مفتوحة، لازم نقفل الحنفية الأول.

- أنا هاسيبكم وابعتلكم سباك يشوف موضوع الحنفية دى، باسجل اعتراضى على أسلوب إدارة الأزمة .

- دى حاجة ترجع لك يا افندم .

خرج (معتز) من حجرة الاجتماعات وهو يردد :

- البلد بتضيع ولسة هنتكلم ؟!

رفع (معتز) المذكرة التى وعد برفعها لوزير الداخلية، ورأى الوزير إعفاء سيف من المهمة وإسنادها للعميد (معتز) كى يقضى بقبضته الحديدية على الإرهابين فوراً.

سيارات الأمن المركزى تملأ شوارع إمبابة، القبض العشوائى عاد من جديد، الكمائن تمركزت أمام المساجد الكبرى، تعتقل المصلين فور خروجهم من المسجد، كل الملتحين يتم القبض عليهم فى كمائن الشرطة دون سؤالهم عن شئ، فاللحية تكفى وحدها كدليل إدانة، وجريمة تؤدى إلى المعتقل.

انكمش الشيخ (جابر) وأرجأ أفكاره المتعلقة بالانتقام حتى تهدأ ريح (معتز) العاتية التى ستقتلع كل شئ.

صارح جابر رفيقه حسن بما يدور فى ذهنه :

— وصول معتز فيه خير كتير، كفاية إنه هيخلصنا من ليزا وأصحابه، وهياخد بتارنا منهم.

— يعنى إيه الكلام دا ؟

— (معتز) مابيفرقش بينا وبين خالد و(ليزا)، كلنا عنده زى بعض، أى واحد لابس جلابية بيضا وله دقن يبقى إرهابى، فاحنا لو اتدارينا وطلعنا من الصورة، معتز مش هيلاقى قدامه غير التبليغ والدعوة يفرمهم ويخلصنا منهم ومن شرهم.

— انت مش ممكن تكون بنى آدم، انت أكيد شيطان، حسبى الله ونعم الوكيل.

— انت بتقول إيه؟

انصرف حسن مرددا : حسبى الله ونعم الوكيل، وقرر الانشقاق عن (جابر) وجماعته وإبلاغ الشرطة عنه ولكن بعد تحذير (ليزا) من شروره أولاً، ولكى يستطيع أن يصل للقاهرة بسلام كان عليه أن يحلق لحيته، وأن يرتدى ملابس شبابية، ففعل على مضض، وفور وصوله اتجه إلى بيت (ليزا).

«السلام عليكم» قالها حسن لليزا الذى قام ليستقبله فى بيته دون تردد وبثقة :

– وعليكم السلام يا أخ حسن.

– ربنا يثبت خطاكم، باسمع عنكم كلام عظيم.

– بارك الله فيك، انت عارف الشيخ خالد؟

(وهو يشير لخالد الجالس معه)

– طبعا، أخ كريم من تلاميذ الشيخ إبراهيم عزت، كنا كلنا بنتعلم سوا فى مسجد أنس بن مالك، وياما خرجنا سوا فى سبيل الله.

هنا يتدخل خالد فى الحوار:

– كلنا تلاميذ الشيخ ابراهيم حتى جابر، ولكنه انحرف عن مسار التبليغ والدعوة.

يؤمن حسن على كلامه مكملاً: ضيعنا وقضى علينا.

خالد: لا ياشيخ حسن، انت قيمة كبيرة، وهتفضل فى خدمة الدعوة.

حسن: بارك الله فيك، أنا انفصلت عن جابر للأبد.

(ليزا): بس انت عارف إنهم مش هيسيبوك بالسهولة دى، دول بيصفوا أى حد يخرج عليهم حفاظا على السرية.

حسن: «قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا»، أنا مش مهم يا أخ ليزا، المهم انتم، وأنا عارف انتم تعبتوا قد إيه عشان تلموا شمل الجماعة بعد ما تفككت.

(ليزا): الأمن عارف إن احنا مالناش فى التخريب والإرهاب.

حسن: أنا مش خايف عليكم من الأمن، أنا خايف عليكم من الشيطان، اللى اسمه (جابر)، اللى عاوز ينتقم منك.

(ليزا): ماتشغلش بالك بالموضوع دا، احنا بعون الله هنخليه يندم لو فكر يأذينا .

اشتد عود ليزا، وازدادت قوته بانضمام حسن الذى بايعه هو الآخر فأضاف مكسبا جديدا لجماعة التبليغ والدعوة .

أسير

«أنـا متأكـدة أن السـعادة التـى سـتغمره لـن تـترك فـى قلبـه ولـو مكانـاً صغـيراً جـداً للغضـب، هـل سـيغضب (ليـزا) منـى ؟ لا .. أنـا أعرفـك ياحبيبـى جيـداً، فأنـت حبـى الكبـير، كنـت أريـد أن أتأكـد أولاً أن حبـك قـد طـرح أول زهـرة فـى أحشـائى، وأن غرامنـا سـيصير لحمـاً ودمـاً، وقريبـاً جـدا سيمشـى علـى الأرض، ويناديـك بابـا ويناديـنى ماما».

تأكـدت أمـل مـن حملهـا – الـذى كانـت تشـك فيـه منـذ شـهرين، ولم تخـبر (ليـزا) بالخـبر السـعيد إلا بعـد أن تأكـدت.

لم يصدق (ليزا) أذنيه وسارع يحتضنها قائلاً:

– ألف مبروك ياحبيبتى.

– بالراحة هتفعص محمود.

– خلاص بقى لينا عيلة كبيرة (قالها ليزا فرحا).

– لـو ولـد هنسـميه محمـود علـى اسـم والـدك، ولـو بنـت هنسـميها أمينـة علـى اسـم أمـى.

قال وهو يبتسم ابتسامة عريضة تكشف عن بعض ما يشعر به من السعادة:

— إن شاء الله لو بنت هنسميها (أمل)، ولو ولد هنسميه (ليزا)، عشان أنا كان نفسى يبقى اسمى (ليزا) فى البطاقة.

أصوات سيارات الشرطة، وعساكر الأمن المركزى تضرب الأرض فتحدث صوتاً مرعباً، أمل تنظر من الشباك :

— الحق يا (ليزا) البيت متحاصر والحكومة مالية الشارع .

(ليزا) ينظر ويتعجب، العساكر يصوبون البنادق الألية نحو (ليزا)، وكتيبة كاملة تقتحم الشقة، الضابط يضرب (ليزا) الذى لا يقاوم أصلا ويطرحه أرضا، ثم يضع الحديد فى يديه وقدميه ويصل السلسلة بينهما حتى لا يستطيع الفرار، وأمل تصرخ: «حسبى الله ونعم الوكيل».

قوات الأمن تصوب الرشاشات نحو (ليزا) بعد أن أنزلوه إلى الشارع واقتادوه فى منتصف دائرة من الجنود مكبلاً بالسلاسل، فى طريقهم إلى السيارات التى لم تستطع الدخول من سور الصنايع، والتى ستوصله إلى ما وراء الشمس .

الناس تنظر لهذا المشهد بحزن ودهشة، و(ليزا)، يسير بخطى ثابتة مبتسماً راضياً، مردداً: لاحول ولا قوة إلا بالله.

لا أحد يعرف إلى أين ذهب (ليزا)، فى أى نقطة خلف الشمس، فزوجته الحائرة كلما سألت عنه فى قسم إمبابة وفى أمن الدولة لا تسمع إلا رداً واحداً: «هذا الاسم غير مسجل لدينا».

ولو ذكر أحد جيرانه أنه متأكد أن (ليزا) هنا فى قسم إمبابة، فقد اقتادته الشرطة أمام أعيننا، ونحن جيرانه، كان مصيره الاعتقال فوراً، فوصلت الرسالة للجميع، مجرد السؤال عن (ليزا) يجعلك تلقى مصيره المجهول نفسه، و(أمل) مازالت تبحث عن زوجها، ولم تفقد الأمل فى العثور عليه رغم مرور كل هذه السنوات، وكلما نظرت لولدها محمد شعرت وكأنها ترى (ليزا)، محمد الذى أرادت أن تسميه ليزا ولكن موظفة الصحة نصحتها بألا تسميه بهذا الاسم لأنه مسلم، ورأت أن الحل هو أن يكون اسمه مركباً، (محمد ليزا)، ولدها، ثمرة حبها الكبير الذى أهلكتها أسئلته عن أبيه، فبعدما كانت تقول له حين كان صغيراً إن أباه خارج فى سبيل الله فى الهند، وسيعود بعد عام أو عامين، أكدت له أن مايسمعه عن والده من الجيران، وأهل التبليغ والدعوة صحيح، «نعم ياولدى اعتقله الظالمون لأنه كان يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.

كبر (محمد ليزا) الصغير فى بيئة ربانية كما أوصى أبوه، فعملت أمل على تحفيظه القرآن، فختمه قبل أن يتم الثامنة من عمره، ودرس علوم الحديث، وصار من طلاب العلم الذين ذاع صيتهم وهو فى الرابعة عشر من عمره، ففرحت به فرحة لم تستطع أن تنسيها حزنها على أبيه الحبيب، الذى خطف من بين يديها وأمام الناس جميعا واختفى ولا تعرف مصيره.

ليزا الابن

«الحمدلله الذى وفقنا إلى ما يحبه ويرضيه، التأم شمل جماعة التبليغ والدعوة، وانضم إلينا الكثير من أنصار (جابر)، ليتك معى يا أبى، ليتك ترى بعينيك نجاحنا الذى ضحيت بنفسك فى سبيله».

بهذه الكلمات هنأ (ليزا) الابن نفسه حين رأى جموع المبلغين تملأ ساحة مسجد الصحابة، وتفترش الشارع حتى أغلق شارع سور الصنايع .

التف الناس حول الشاب الصغير الذى مثل عندهم المعجزة، فهو يشبه أباه فى الملامح ويفوقه فى العلم، حتى أن البعض زعم أن روح الوالد الطاهرة قد سكنت جسد الغلام.

استخدم (ليزا) ذكاءه فى الدعوة فأبقى على لقاء الثلاثاء الذى كان الناس يخرجون فيه لملاقاة (جابر)، وحول وجهتهم إلى مسجد الصحابة، ليتعرفوا على جماعة التبليغ والدعوة، فاستوعبت الجماعة معظم الشباب المتحمس الذى يريد أن يسهم فى نشر دين الله والسير على خطى النبى وأصحابه.

انضم المئات للجماعة مبايعين (ليزا) الابن أميراً لجماعة التبليغ والدعوة حتى يعود الأميرالشيخ (محمد ليزا) والده.

بدأت الجولات على المقاهى والمحال التجارية وفى الأسواق، وانطلقت الأفواج تدعو الناس للصلاة وللعودة إلى تعمير بيوت الله، آلاف من المبلغين يجوبون كل بقاع مصر، كل المحافظات بل كل القرى.

امتلأت الشوارع بالمبلغين الذين كانوا إذا دخلوا شارعاً ضموا معظم شبابه، وبدأ اسم (ليزا) يتردد مرة أخرى، ليس أميراً لجماعة التبليغ والدعوة فى إمبابة وحدها، ولكن فى مصر كلها.

انزعجت الداخلية من نجاح التجربة، مع أنها كانت مرحبة ومشجعة للجماعة منذ البداية، فكل المؤشرات تؤكد تراجع الجريمة وتجارة المخدرات بعدما اجتذبت الجماعة معظم الشباب الذين وجدوا مشروعاً كبيراً ينتسبون له، ويثبتون عبره أنهم رجال.

هذه التجمعات الكبيرة مع أنها سلمية، وتحرم الخروج على الحاكم إلا أنها ألقت الرعب فى قلب النظام، الذى رأى أن مجرد التجمع بهذه الأعداد يمثل خطراً على وجوده.

صدر الأمر باعتقال (ليزا) الصغير، ولكن من لديه القدرة على القبض على الأمير المحبوب الذى لم يغضب الله ورسوله، ولا أصحابه ولا النظام، ولم يحرض يوما على

العنف، وهل تستطيع الشرطة أن تظلمه كما ظلمت والده وهذه الآلاف من الشباب المتحمس يعتبرونه قدوة، وأميراً صاحب رؤية وهمة عالية؟!

الأمير الصغير يسلم نفسه خوفاً على الدعوة، فقد رأى أن يئد الفتنة، لأن القوات إذا جاءت قد تعتقل المزيد من الشباب، وقد يسقط قتلى وجرحى.

ورغم أن أمه حاولت أن تمنعه قائلة:

- هيغدروا بيك زى ماغدروا بأبوك، حرام عليك يا ابنى، تروح لهم برجليك ؟! دا لسة نار أبوك فى قلبى مابردتش، لا عارفة ميت ولا حى، بقالى خمستاشر سنة فى عذاب، كان نفسى أعرف له طريق، كان نفسى يسلمونى جثتة حتى، أو يشاوروا لى على قبر ويقولوا لى إنه مدفون هنا، أوعى تروح يامحمد.

إلا أنه طمأنها:

- ما تخافيش يا أمى، أنا هاتكلم معاهم، وأطمنهم، ولما يتأكدوا إن إحنا مالناش فى السياسة هارجع إن شاء الله، لازم أروح وأسلم نفسى، لو جم هنا هتحصل مجزرة، الناس هنا بيكرهوا الحكومة، ولو الشرطة دخلت مفيش واحد هيطلع على رجليه.

- (وهى تبكى) حاسة إنى مش هاشوفك تانى يا ابنى.

— قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا.

ذهب محمد بمفرده، وسلم نفسه فى قسم إمبابة، بينما ظلت أمه أمام القسم مع بعض سكان سور الصنايع والمقربين، وعلى رأسهم أشرف سعد وأحمد قيادة صديقا والده .

مرت خمس ساعات ولم ينزل محمد من القسم، فطلبت أمل من قيادة أن يذهب ويسأل عنه، هل سيخرج الليلة أم سيتم عرضه على النيابة غداً، ولكنه عاد إليها قائلا :

— بيقولوا مفيش حد بالاسم ده.

صرخت (أمل): حرام عليكم، مش كفاية أبوه، عاوزين تاخدوه هو كمان ؟!.

قال لها أشرف سعد وهو يمنعها من التقدم نحو القسم :

— اركبى العربية انتِ وروحى واحنا هنتصرف.

ركبت أمل سيارة أحمد قيادة الذى رجع بها إلى بيتها ثم عاد لأشرف قائلاً :

— هنعمل إيه ؟

— بص، لو ما طلعش لحد بكرة يبقى هما جابوه لنفسهم.

— هنعمل إيه يا أشرف ؟

- بكره التلات، نخلى لقاء الثلاثاء هنا قدام قسم إمبابة، دا لو المشايخ عرفوا هيخربوها، دول ييجوا مليون واحد.
- دى هتبقى مجزرة، ويبقى يوم أسود يوم فى حياتهم.
- وتبقى أسود سنة شفوها، والكورة فى ملعبهم وهما اللى هيختاروا.

انتشر الخبر، فجاء الشباب من شتى المناطق رافعين لافتات كُتب عليها: «أطلقوا سراح المعتقلين» «إطلقوا سراح (ليزا)».

تجمع الآلاف حول قسم إمبابة، فخرج المامور وأمهل المعتصمين عشر دقائق، يتركون فيها أماكنهم، ويعودون إلى منازلهم، ومن يبقى بعد هذه المهلة إما سيعتقل أو سيقتل، مؤكداً عدم وجود معتقلين فى القسم، وعدم وجود أى شخص إسمه (محمد ليزا).

قبل أن تنتهى المهلة فتحت قوات الأمن المركزى المياه، جرح الكثيرون، واعتقل بعضهم، ولاذ البعض بالفرار.

الحرية

اشتعل الموقف بعد سقوط الضحايا، بكى سور الصنايع ولم يتحمل كثرة الأسماء التى يسبقها لقب شهيد، والتى كتبت عليه بالدموع والدماء فبات حزيناً، خيم الحزن على الجميع، مما سهل مهمة أشرف الذى رأى أن الحل الوحيد لعودة الأمير الصغير هو اعتصام رفاقه أمام قسم إمبابة. استجاب المبلغون الذين وصلتهم دعوة أشرف فتجمعوا أمام القسم للمطالبة بفك أسر (ليزا)، وبمحاكمة كل من قتل الشباب، فتحول قسم إمبابة إلى نقطة سوداء يحيطها سحاب أبيض كثيف.

— الحق يا افندم الأهالى محاوطين القسم

قالها (البلوكامين حسين الجندى) للمأمور الذى هرول إلى النافذة ليشاهد المنظر قائلاً :

— اتصلوا بالمديرية، عاوزين قوات إضافية لحماية القسم، لو أى حد حاول اقتحام القسم اضربوه بالنار.

حالة استنفار كامل داخل القسم، وذعر من هذا المشهد المهيب الذى لم يحدث من قبل، ولم يرد على الأذهان أنه يمكن أن يحدث فى يوم من الأيام، الأعداد فى تزايد مستمر، وكلما زادت الناس، زادت الشجاعة والإصرار لدى المعتصمين على تحقيق الهدف .

أغلقت جميع الشوارع المحيطة بالقسم، فقد افترشها أنصار (ليزا) فتحولت إلى مسجد كبير قبلته القسم، والجميع يهتف هتافاً واحداً : (ليزا .. ليزا).

حسين الجندى : أنا مش مصدق يا افندم، إزاى دا يحصل؟! دا الناس دول بتوع ربنا، مالهمش فى الكلام دا خلاص!

المأمور : احنا كلمنا الوزارة ومستنيين الأوامر، طول ماهما سلميين ماحدش يتعامل معاهم، لكن لو حاولوا اقتحام القسم ..الضرب فى المليان، كل دا عشان الواد الصغير دا، هو عمل إيه بالظبط ؟

حسين : إرهابى ياريس، وجايله ضبط وإحضار من أمن الدولة.

— عمل إيه يعنى ؟

قالها المأمور بانفعال.

الأصوات تعلو، والهتافات تزداد قوة، الجميع ينتظرون خروج الأمير الصغير .

— يا افندم يا افندم، القوات اللى جايه من المديرية مش قادرة توصل، الناس مالية الشوارع، الكورنيش كله لغاية ميدان الكيت كات مليان ناس، كلهم لابسين جلاليب بيضا، وفارشين سجاد على الأرض وجرانين، وقاعدين يهتفوا ضد الحكومة.

المأمور: أنا لازم أكلم الوزير، هات الموبايل.

— حاضر يا افندم .

ألو، صباح الخير يا افندم .

الوزير : هييجى منين الخير؟

— احنا مستنيين الأوامر يا افندم .

— بقى قسم طويل عريض مش قادر يفض مظاهرة زى دى.

— لا يا افندم دا اعتصام كبير، حوالى مليون واحد على الأقل محاوطين القسم.

— مسلحين؟

— لا يا افندم.

— إيه طلباتهم؟

الإفراج عن شاب معتقل اسمه ليزا.

— هو عمل إيه؟

— مجمع الناس حواليه، هو لغاية دى الوقت ماعملش حاجة، بس خطورته بتزيد كل ما الناس بتكتر حواليه، والله يا افندم احنا نفذنا أمر الضبط والإحضار الصادر من نيابة أمن الدولة.

— أنا هاكلم سيادة الرئيس، وأقول لك هنعمل إيه بالظبط، ولحد دا مايحصل على الجميع ضبط النفس، وكفاية المصيبة اللى انتوا عملتوها وهيجتوا الناس علينا.

كان أشرف سعد و(أحمد قيادة) الأكثر وضوحاً فى الاعتصام، لأنهما يختلفان فى المظهر والثياب عن باقى المعتصمين ويقودان الهتاف بحماس.

— أنا متأكد إن ليزا الصغير هيطلع قبل المغرب إن شاء الله، تراهن على كدا؟

— تراهن إيه يخرب بيتك ! دا لو المشايخ سمعوك هيقيموا عليك الحد، وبعدين إيه اللى مخليك متأكد قوى كدا؟!

— الحكومة تقدر على خمسين، ستين واحد فى خناقة كبيرة، لكن الآلاف .. لأ، مش ممكن، ودول مش آلاف، دول أكتر من مليون ومعاهم الحق.

- الله يمسيك بالخير يا (ليزا)، أو يرحمك لو كنت مت، ابنك بقى متصيت أكتر منك وحواليه الملايين.

موبايل المأمور يرن :

- ألو، أفندم ياسيادة الوزير.

- اتكلموا مع الناس، وفهموهم إن مافيش حاجة، الموضوع خلص، كان كله مجرد اشتباه، والتحقيق أثبت إن الشيخ برئ، وهيخرج بعد ساعة.

- ونخرجه فعلا يامعالى الباشا؟

- أيوه، مدام ماعملش حاجة هنحجزه عندنا ليه؟!

خرج المأمور من القسم ووقف أمام البوابة الرئيسية متحدثاً للمعتصمين بواسطة ميكروفون :

- أحب أبشركم إن الشيخ تم التحقيق معاه، وهو زى الفل، وخارج بعد ساعة.

- الله اكبر الله اكبر .

اشتعل الشارع بالتكبير والبهجة.

- أرجوكم افتحوا الطريق للعربيات والناس، اتوكلوا على الله والشيخ هيحصلكم.

- الله اكبر الله اكبر .

الهتاف يرج القسم: (عاوزين ليزا .. عاوزين ليزا)

رفض المعتصمون العودة إلى منازلهم إلا بالأمير الصغير، الذى أصبح رمزاً دينياً ووطنياً ومثلاً أعلى لشباب إمبابة، فقرر المأمور الإفراج عنه فورا لتجنب المزيد من الضغوط.

خرج (ليزا) فهتف الناس:

— الله اكبر، يحيا الأمير، يحيا الأمير.

تقدم أشرف وقيادة ومعهما (أمل) أم الأمير، التى تقدمت وكأنها فى حالة من عدم الإدراك لا تضحك ولا تبكى، ولا يبدو عليها أى رد فعل فأخذها ولدها فى حضنه فقالت :

— انت هتمشى وتسيب أبوك عندهم ؟!

وصرخت :

— بقالى خمستاشر سنة مستنية اليوم دا، الناس معانا النهاردة ياابنى، مش هنمشى من هنا إلا ومعانا أبوك، اللى مافيش فى الدنيا دى واحد زيه.

ليزا الابن :

— عندك حق يا أمى.

والتفت إلى المأمور :

— احنا مش هنمشى من غير أبويا.

ونادى فى الناس :

— لـو كنتـم جيتـوا النهـاردة عشـان تخرجـوا (ليـزا) مـن الأسـر فأنـا مـش (ليـزا) أنـا حتـة صغـيرة منـه، لكـن (ليـزا) لسـه عندهم.

صرخ الناس :

— عاوزين ليزا، عاوزين ليزا.

عـاد المأمـور إلى مكتبـه داخـل القسـم مذعـوراً، يبحـث عـن الموبايـل – وهـو أمامـه – كـى يكلـم الوزيـر ليطلعـه علـى آخـر التطـورات:

— الموقف تأزم يا افندم، نعمل إيه معاليك؟

— خرجوا الولد اللى هما عاوزينه.

— حصـل يـا افنـدم، ومـش عاوزيـن يمشـوا إلا لمـا أبـوه كمـان يخـرج .

— أبوه ؟! أبو مين ؟!

— أبو (ليزا)، اسمه (محمد ليزا) برضه .

— خرجـوه هـو وأبـوه وخلصونـا مـن الحكايـة دى، دا سـيادة الرئيـس قلقـان قـوى، وخايـف لتكـون ثـورة كبـيرة .

— ثـورة إيـه يـا افنـدم، مافيـش الـكلام دا، بـس المشـكلة دى مـش عندنـا، أبـوه معتقـل مـن خمستاشـر سـنة .

— حاولـوا تمشـوا النـاس، أو علـى الأقـل تطمنوهـم إن الداخلية هتخلـى سـبيله، ولكـن الموضـوع دا هياخـد لـه كام يـوم.

— تمام يا افندم .

خـرج مأمـور القسـم للمعتصمـين قائـلاً : إجـراءات الإفـراج عـن الشـيخ بتتـم دى الوقـت، بـس هتاخـد كام يـوم، اتوكلـوا علـى الله، وأنـا أوعدكـم خـلال تـلات أيـام هيخـرج لكـم الشـيخ محمـد ليـزا، فاشـتعل الاعتصـام وعلـت الهتافـات : (مـش هنمشـى، مـش هنمشـى).

أمل تصرخ : يعنى هو حى ؟

قيـادة : مـدام قـال هيخـرج بعـد تـلات أيـام يبقـى حـى يـا (أم ليـزا) .

ليزا الابن : أبوى حى، الحمدلله .

أشـرف : لازم نشـوفه بعينينـا، ممكـن يكون دا حوار، عشـان يمشـونا، عـاود الهتـاف : مـش هنمشـى .. مـش هنمشـى .

قـرر المعتصمـون أن يسـتمروا فـى اعتصامهـم حتـى يخـرج أميرهـم المحبـوب (ليـزا) الأب بعدمـا فرحـوا بخـروج الابـن .

بدأ المعتصمون بنصب المخيمات استعدادا للنوم، وفتح كل المساجد المحيطة واستخدامها فى الإقامة والإعاشة مصرين على عدم مغادرة الاعتصام، كل القناوات الفضائية تنقل الحدث، والتليفزيون المصرى يستقبل مكالمات من ساكنى المنطقة المحيطة بالقسم، وينقل صوراً حية من الاعتصام الذى تخطى عدد المشاركين فيه المليون.

— ياترى ممكن أبوك يرجع لنا تانى، ونعيش مع بعض .

— إن الله على كل شئ قدير، مش قلت لك يا أمى لعله خير، اعتقالى هيكون سبب فى خروج والدى إن شاء الله .

أمل : ياريت يا ابنى.

الهتافات تعلو :

— الله اكبر الله اكبر

قيادة : التليفزيون بيذيع بيان الرئاسة بالإفراج الفورى عن (ليزا)، وهو دى الوقت قدام مديرية أمن الجيزة.

أمل وهى تضحك رغم الدموع الغزيرة التى تسكن عينيها :

— احلف.

قيادة : والله زى ما باقول لك كدا، ليزا فى التليفزيون والناس شايفاه .

المعتصمون يهتفون :

— الله اكبر الله اكبر.

أشرف : الرئيس عزل وزير الداخلية وحوله لمحاكمة عسكرية .

هتف الجميع : يحيا العدل .. يحيا العدل .

قيادات الداخلية تتابع بيان الرئاسة من خلال الشاشات منقسمين بين مؤيد ومعارض.

اللواء معتز : أكيد الراجل دا اتجنن.

اللواء سيف : بالعكس دا فاق، الرئيس اتصرف بحكمة، كدا أحسن ولا تقوم ثورة فى مصر كلها زى ماحصل فى دول تانية ؟

اللواء معتز : مصر ضاعت وهيبتها انتهت.

التليفزيون يعلن عن رئاسة الجمهورية بأنه تم تعيين اللواء (سيف) وزيراً للداخلية لما يتمتع به من جماهيرية وقبول شعبى، ويؤكد أن رئاسة الجمهورية حريصة على تنفيذ رغبات الشعب وتحقيق آماله والجماهير تهتف فرحا:

— الله أكبر يحيا العدل.

تمت

أغسطس ٢٠١٦

السيرة الذاتية

عماد سالم

- شاعر وروائى مصرى من مواليد قرية العلاقمة مركز ههيا محافظة الشرقية سنة ١٩٦٩ .
- درس بكلية الحقوق جامعة القاهرة .
- عمل بالصحافة و أسس جريدة شمس النهار وتولى رئاسة مجلس إدارتها ٢٠١٢ .
- عمل فى الطباعة والنشر وأسس مؤسسة يسطرون للنشر وتولى رئاسة مجلس إدارتها ٢٠١٢ .
- ساهم فى الحركة الثقافية المصرية فأسس جماعة النيل الأدبية ٢٠٠٨ .

- عضو اتحاد كتاب مصر.
- عضو المنتدى الثقافى المصرى.
- عضو جمعية دار الأدباء.

أهم الإصدارات :

- تلغراف (شعر ٢٠٠٦)
- غيطان الليل، أغانى مصرية (٢٠٠٨)
- الحب فى ميدان التحرير (شعر ٢٠١١)
- أسرار مريد (شعر ٢٠١٣)
- مركب أفكار (شعر ٢٠١٥)
- أخر محطة للوطن (مقالات ٢٠١٦)
- إنسان ملاك (مسرحية شعرية ٢٠١٦)

تحت الطبع

- بيت أبو خشبة رواية.

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع